الدكتور قاسم سلاّم

حزب البعث العربي مرحلة التأسيس



منشورات الطليعة
1999



الدكتور قاسم سلاّم

لمحاتٌ تاريخية عن المرحلة التي سبقت نشأة البعث

مرحلة ما بين الحربين العالميتين

أ ـ المظاهر السياسية العامة

تمثل الفترة الواقعة بين ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ قمة التحدي العربي ضد القمع العثماني . ففي هذه الفترة حدثت القطيعة بين ممثلي سياسة القومية العربية وبين رجالات «تركيا الفتاة» ، وقد عجلت بهذه القطيعة عمليات الاعدام التي تمت في دمشق وبيروت وراح ضحيتها كبار قادة الحركة القومية العربية ، كما زاد من حدتها عن ذي قبل نمو حركة متطرفة في تركيا عرفت باسم الحركة الطورانية(١) .

وكان ان حدا تدهور الاحداث السريع بقادة الحركة القومية العربية الى تبني هدف سياسي عام يقول بوحدة الوطن العربي واستقلاله بصورة كاملة وتامة ، وبهذا إتخذ سمات واضحة نداء الرسالة القومية التي أصبحت الآن ، وخاصة على المستوى الشعبي ، صنوا لضرورة الاستقلال والوحدة ، مما جعلها تتجاوز الفروق السابقة .

---

(١) الطورانية حركة سياسية تركية نمت بين عامي ١٩٠٥ و ١٩٠٩ ، واتخذت هذا الاسم لان برنامجها كان يهدف الى وحدة الوطن التركي ، أي وحدة كل الاتراك العثمانيين مع جميع الشعوب التي كانت خاضعة لهم ، في أمة ، لا يقتصر وطنها على تركيا او تركستان وحسب ، بل يمتد الى كيان أوسع هو طوران . لكن برنامج الحركة اقتصر ، بعد استلام اتاتورك السلطة ، على الجمهورية التركية وحدها .

راجع حول هذا الموضوع :

كيالي وآخرون ، القاموس السياسي ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٣٦٣ .

عطية الله (احمد)، القاموس السياسي، منشورات اليقظة العربية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص ٧٦٤ ـ ٧٦٥ .

والجدير بالذكر ان مطامح الشعب واتجاهاته كانت خلال هذه الفترة ، اشد تقدما من تلك التي كانت تنادي بها الاحزاب الاصلاحية وقياداتها . فقد قصر هؤلاء نطاق الوحدة العربية على كل من سوريا والعراق ومصر . كما ان الجماهير الشعبية تجاوزت برامج الاحزاب حتى في ما يتعلق بمشكلة الاستقلال . فهذه الجماهير كانت تطالب بالاستقلال التام لجميع الاراضي العربية . حتى انها طالبت بالغاء جميع الامتيازات الممنوحة للاجانب ، في الوقت الذي كانت الاحزاب تتأرجح فيه بين الاتجاهين المذكورين آنفا ، واللذين أثارا انتباه المؤرخ ف.ب لوتسكي عندما قال : «وهكذا قبيل الحرب العالمية الاولى ، لوحظ في الحركة العربية اتجاهان متعارضان تماما ، اذ سلك معظم القوميين العرب خط الثورة ضد تركيا ، واخذوا يعملون بالتواطؤ مع دول الوفاق . وكان القسم الآخر من القوميين العرب ما زال يأمل بالتوصل الى اتفاق مع الاتراك ، واعتبر بان الثورة ستكون مصحوبة بخطر ليس اقل ، بل اكثر من امكانية الاحتلال الانكليزي الفرنسي للاقطار العربية» (١) .

لكن شهادة اخرى مباشرة نستطيع ان نستقيها من اسعد داغر الذي عاش شخصيا احداث تلك الفترة ، وها هو يقول في احد مقاطع ذكرياته :

«الظروف القاهرة التي فُرضت علينا سنة **١٩١٦** كانت تتطلب امورا كثيرة لم تكن متوفرة لنا ، أهمها الاصدقاء الذين يؤيدون أهدافنا ويشدون ازرنا ، فلما اضطررنا الى الدفاع عن انفسنا ضد الاتراك لم نجد امامنا غير السير مع الحلفاء ونحن عالمون بما لهم من اطماع في بلادنا . ولكن الخطر العظيم الذي كان يهددنا به الاتراك ، هو خطر الابادة والافناء ، لم يترك لنا مجالا للتفكير والاختيار فلم يكن هناك شران بل كان موت محقق من جهة ان لم نثر على الترك ، وجهاد شاق طويل في سبيل حياة حرة كريمة من جهة اخرى»(٢) .

بيد انه بوسعنا ان نؤكد من جهة اخرى ان الحركة العربية كانت تلعب رغم هذه التناقضات دورا هاما في المنطقة بعد ان قطعت شوطا طويلا خلال وقت قصير . فقد هجرت طريق «انصاف الحلول» وتبنت شعائر تحمل اتجاهات نضالية تامة برزت فيها النقاط التالية :

---

(١) لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية ، ص ٤١٤ .
(٢) صايغ (انيس) ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، ص ٧٢ .
داغر (اسعد) ، مذكراتي ، القاهرة ، **١٩٥٩** ، ص **٥** .

١) ادراك شرعية النضال من اجل تحصيل الحقوق المشروعة . ويعتبر هذا تعديلا جذريا على موقف الخضوع السابق .

٢) استبدال طريقة التعاون والتباكي بالطرق الثورية التي اعتمدت على حرق المراحل .

٣) التخلي عن اسلوب الضعف وتبني طرق القوة .

٤) رفع رايات الثورة والوحدة والاستقلال .

وبنهاية الحرب العالمية الاولى انتهى الاحتلال التركي للوطن العربي . لكن هذا الوطن دخل ، رغم هذا الاستقلال ، في مرحلة أسوأ من تلك السابقة ، من حيث نوعية الاخطار التي بدأت تهدد وجوده . فاذا كان صحيحا كما هو صحيح ، ان الثورة العربية الكبرى حازت على اعجاب كبير بسبب ما ساهمت به من طرد العثمانيين ، فمن الصحيح ايضا ان نجاحها لم يكن الا جزئيا لان قادتها اكتفوا بما حققته الثورة ، معرقلين بهذا نمو الحركة العربية ليستسلموا للقوى الغربية ولمنطقها ولمصالحها ومطامعها .

وتشكل المراسلات(١) التي تمت بين المندوب السامي البريطاني ماكماهون وبين الشريف حسين برهانا على صحة ما نقول . ونكتفي هنا باقتطاف بعض فقراتها التي تعبر عن وجهة نظر ماكماهون :
«ان قضية ولايتي حلب وبيروت تحتاج الى نظر دقيق لما لفرنسا من مصالح فيهما ، وان مصالح بريطانيا في ولاية بغداد تتطلب ادارة ودية ثابتة ، وان انكلترا لا تنوي ابرام اي صلح كان ما لم يكن ، في جملة شروط اساسية ، حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الاتراك والالمان » .

وسارع شريف مكة ليجيب قائلا : «انه يكف اثناء الحرب عن المطالبة بلبنان حرا لاجتناب ما يكدر صفو التحالف بين انكلترا وفرنسا به» .

هذا مما اثار اعجاب ورضى المندوب السامي ماكماهون ، فبين في رسالة تالية ما يلي : «ان صداقة فرنسا وانكلترا ستقوى وتشتد بعد الحرب»(٢) . وهكذا

---

(١) الريس (منير) ، الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي ، ص ٧٠ .
(٢) صايغ (انيس) ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

نستطيع ان نعرف من فم زعيم الثورة العربية الكبرى ، الى أية درجة انحرفت هذه الثورة عن طبيعتها وابتعدت عن طريقها على يد زعمائها بالذات .

وبما ان الملاحظات التي اثارها حول هذا الموضوع البحاثة انيس صايغ كانت شديدة الدقة ، فإننا نرى ان تقديم ملخص عنها يساعد في اضفاء روح تحليلية اوسع على الاعتبارات التي سقناها حتى الآن حول نواقص النشاط السياسي للمنظمات القومية خلال الفترة التي نحن بصددها . يرى انيس صايغ ان هذه النواقص هي على ثلاثة أنواع :

١) كون فكرة الوحدة العربية فيها جزئية وغير كاملة ، من حيث انها قائمة على الوحدة بين سورية الكبرى والعراق والجانب الشرقي من النيل . كما ان فكرة الاستقلال لم تفهم من ناحية اخرى على انها مكسب يجب الحصول عليه عن طريق النضال ، بل على انها نتيجة تفاهم مع السلطان او مع تلك القوى الغربية التي تعد باعمار البلاد .

٢) اعطاء الدعوة العربية فيها لبوسا وصفات رومنسية ، من خلال التركيز على آداب العرب وتاريخهم واحياء تراثهم «حتى ما كان قد بلي ولم يعد يناسب العصر» وتمجيد الفتوحات والسير الماضية وان كان ذلك على حساب الحقيقة والصدق احيانا .

٣) كون الثقة التي وضعت في اوروبا ، وفي كل من فرنسا وانكلترا على وجه الخصوص ، كانت واسعة وفي غير محلها وساذجة ايضا ، كما ان تقليد الايديولوجيات القومية الاوروبية واستعارتها واستيرادها قد تمت من غير اي تمحيص مسبق .

ان صحة ملاحظات انيس صايغ والتقدير السلبي الذي يبرز من خلالها حول الامكانيات الفعلية التي كانت آنئذ في حوزة الحركة القومية ، تبرز حالما نفكر بتطور الاحداث اللاحق ، عندما كبحت المطامح القومية ، وتوجب على الشعب العربي وعلى حركته الناشئة تحمل الامر بسبب ازدواج السياسة الاوروبية .

وهناك شهادة ذات مغزى (وتشكل إتهاماً فعلياً) قيلت على لسان إحدى أهم الشخصيات السياسية الانكليزية التي عاصرت تلك الفترة ، ماك دونالد زعيم حزب العمال الذي صرح في عام **١٩٢٢** قائلا : «لقد شجعنا العرب على الثورة ضد الاتراك وذلك على سبيل بذل الوعود لهم بتحقيق حلمهم بانشاء مملكة عربية تضم

فلسطين ، وفي الوقت نفسه شجعنا الصهيونية على تقديم المساعدة مقابل اعطائها فلسطين . كما اننا وقعنا في الوقت ذاته على اتفاق سايكس - بيكو القاضي بتقسيم التركة العثمانية في الشرق الاوسط . ان من يشاهد منا تطور الاحداث في المنطقة لا يستطيع ان يقنع نفسه ان العرب سينسون ذلك اللؤم او سيسامحون ذلك الغدر ، او ان الجريمة التي اقترفناها يمكن ان تزول نتائجها على مرور الايام ، لقد كان سلوكنا مع المسلمين سلوكا جنونيا»(١) .

كما اكد ارسكين تشايلدرز في كتابه، اخطاء القوميين وازدواجية السياسة الاوروبية في المنطقة العربية حين قال : «لقد خولت الحكومة البريطانية في عام ١٩١٥ ، «السير» هنري مكماهون ان يتفاوض باسمها وان يعقد اتفاقا مع الزعيم العربي ، الحسين ، وقد تعهد حسين بموجب هذه الاتفاقية ، بان يدعو الى ثورة عربية ضد الاتراك ، يمولها البريطانيون ، ويغذونها بالاسلحة والمستشارين ، ووعدت الحكومة البريطانية مقابل ذلك ، خطيا ، بعد هزيمة الاتراك ، بالاعتراف بدولة عربية مستقلة تضم سورية باسرها ، التي كانت تشمل آنذاك فلسطين والاردن والعراق ، وبدأت الثورة العربية في عام ١٩١٦ ، وكان يتولى تشجيعها وتقديم المشورة اليها عدد من الضباط البريطانيين بينهم لورانس ، واشترك نحو خمسة وعشرين الف جندي عربي في الحرب ضد الاتراك ، وعملوا على الاسراع في تحقيق انتصارات اللنبي في فلسطين وسوريا . وفي غضون ذلك ، كانت بريطانيا تعقد اتفاقيات حربية تتناقض مع هذه الاتفاقيات تناقضا خطيرا لتحديد مستقبل العالم العربي» (٢) .

إن الاتفاقيات التي اشار اليها تشايلدرز هي تلك التي وقعها في ربيع عام ١٩١٦ ، كل من مارك سايكس وجورج بيكو ، في موسكو وبحضور وموافقة مستر سازنوف وزير خارجية الامبراطورية الروسية ، التي لم يكن من المستطاع تجاهلها حينئذ ، بسبب اهتمامها بالمنطقة الارمنية التابعة للامبراطورية العثمانية . وقد بقيت هذه الاتفاقيات سرية الى ان تيسر الاطلاع عليها بعد ان نشرها البلاشفة الروس بعيد ثورة عام ١٩١٧ .

---

(١) جريدة الثورة البغدادية ، تاريخ ١٩٧٣/٦/٣ ، ص ٣ .
(٢) تشايلدرز ، الحقيقة عن العالم العربي ، ص ٦٥-٦٦ .

وكان مثالا على الازدراء المطلق للوعود البريطانية التي قطعها ماكماهون على نفسه امام حسين ، وبصورة عامة ، مثالا على ابشع انواع الاستعمار ، كون الاتفاقيات المذكورة تقضي اقتسام الجانب الشرقي من الوطن العربي غداة تقسيم الامبراطورية العثمانية الى منطقتي نفوذ (انكليزية وفرنسية) مع الاحتفاظ بالسيادة العربية الشكلية عليهما ، بينما نص الاتفاق على وضع فلسطين تحت نظام وصاية دولية .

وقد تم الوصول الى هذا القرار ، الذي كان بمثابة استفزاز قوي للعرب ، نتيجة لتطبيق سياسة الوفاق بين الانكليز والفرنسيين حيث كان ضروريا ـ بعد ان تحالف الطرفان خلال الحرب ـ التوفيق بين مصالح الفرنسيين التي تقتضي سيادتهم على سورية ولبنان والمشاركة في استغلال بترول الشرق الاوسط ، وبين مصالح الانكليز المرتبطة بقناة السويس وبطرق المواصلات الارضية بين شواطىء المتوسط وحقول النفط في الخليج العربي (١) .

واذا ما تنازلت بريطانيا العظمى عن بعض نقاط برنامجها السابق (الذي كان ينص على انشاء دولة عربية لا ترتبط بها) فهذا لانها ادركت ان حلفاءها سيدافعون عن وجهة نظرهم بعد احراز النصر ، وخاصة فيما يتعلق بمستقبل فلسطين ، الذي لم يكن من المستحسن تكوين موقف صلب حوله يتخذ من طرف واحد ، لان مستقبل فلسطين يستقطب انتباه مختلف الاديان العالمية . وهذا ما تدل عليه عبارة اصبحت شهيرة قالها سايكس :

«انني لا انظر الى بعيد هذه النتائج ، وما يهمنا اليوم هو تأمين مصالحنا الآنية . علينا ان نقهر الالمان والترك ونبطش بهم اينما كانوا . . . وبعد ذلك لن يقوم بيننا خلاف على توزيع وتقاسم هذه البلدان»(٢) . وتدل على صفاقة معاهدة سايكس ـ بيكو ازاء الحركة القومية العربية ، تلك الكلمات التي لفظها المندوب السامي ماكماهون ، الذي كان يعتبر ، كما رأينا ، واحدا من ابرز الساسة البريطانيين ، قال ماكماهون :

«ليس بوسعي التهرب ، وما انفك محتوما علي ان ارتدي في هذه البقعة من

---

(١) تشايلدرز ، المرجع نفسه ، ص ٦٧ ـ ٦٨ .
(٢) السياسة الدولية في المشرق العربي ، الجزء الرابع ، ص ٢١٨ .

الشرق معطفي القديم الذي نسجته من الغش والخداع . وعلى الرغم من ازدرائي لانصاف الحلول هذه فاني عاودت ارتداءه كاملا ويصعب على اي كان ان يقول بانني لست اهلا لمثل هذه الالاعيب» (١) .

لقد رأينا حتى الآن وثيقتين تاريخيتين متناقضتين (رسائل ماكماهون ـ حسين ومعاهدة سايكس ـ بيكو) تشهدان بازدواج السياسة الاستعمارية وكيف انها تمر فوق رأس الشعوب . اما السابقة التاريخية التي جعلت من المستطاع اصدار وعد بلفور المشؤوم ، فهي ان الزعماء الصهاينة (الذين كانوا يطمعون منذ زمن طويل بالحصول على فلسطين كيما يغرسوا فيها «وطنا قوميا») نجحوا قبل سنوات كثيرة من الحرب في الحصول على عطف شديد على قضيتهم المزعومة من قبل شخصيات كثيرة وهامة على مسرح السياسة البريطانية . فقد استطاعوا خلال الحرب اقناع الحكومة البريطانية بأن نمو ونشوء مجتمع صهيوني متقدم سيكونان افضل ضمان استراتيجي بالنسبة لبريطانيا العظمى فيما يتعلق بقناة السويس او بطريق الهند . ثم ان قوة الصهاينة في الولايات المتحدة اقنعت بريطانيا بسهولة «اللوبي» الصهيوني هناك ، بادخال الولايات المتحدة بالذات في حرب ضد الامبراطوريات المركزية .

لهذا فقد فكرت الحكومة البريطانية انه لا بد من الحصول على عطف ذلك «اللوبي» بواسطة منح الصهيونية العالمية ما تبتغيه في فلسطين .

وهكذا تم في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٧ اصدار وعد بلفور الذي يضمن ـ كما سنرى ـ دعم حكومة لندن بتشكيل «وطن قومي» للصهيونية العالمية في فلسطين . وتكمن هذه الوثيقة في رسالة بسيطة بعثها وزير الخارجية البريطاني السير ارثر بلفور الى اللورد روتشلد ، جوابا منه على وثيقة تعلن «مبدأ الاعتراف بفلسطين على انها مركز قومي لليهود» وارسلها الصهاينة الى «حكومة صاحب الجلالة في تموز ١٩١٧» .

وفي ما يلي نورد نص رسالة السير ارثر بلفور :

«ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس «وطن قومي» للشعب اليهودي في فلسطين . وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية على ان يفهم جليا انه لن يسمح بأي اجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢١ .

بها المجتمعات غير اليهودية القائمة في فلسطين ولا بالحقوق او المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى» (١).

انها وثيقة وجيزة اذن وفريدة من نوعها ، لكنها هي التي بدأت بفتح مشكلة واسعة ، مشكلة شعب ، هو الشعب العربي الذي ديست كرامته ، بعد ان تم تجاهل وجوده بالذات وبدأ آخرون في تقرير مصير أرضه ومصير شخصيته ايضا . وعلى هذا الوجه فهم الشعب العربي وعد بلفور واعتبره استغلالا تاريخيا ونوعا اشبه «بزواج غير مقدس» عقد بين طرفين (بريطانيا العظمى والصهيونية) لا يملكان اي حق للتصرف في الوطن العربي .

ماذا سيكون مصير فلسطين والوطن العربي بعد الحرب ؟ وما هي الالتزامات التي سيفي بها الانكليز والآخرون : هل هي التزامات مراسلات مكماهون وحسين ، أم التزامات اتفاقية سايكس بيكو أم ايضا التزامات وعد بلفور ؟

هذه هي التساؤلات التي طرحها الشعب العربي خلال كل ايام عام ١٩١٨ .
وهكذا فإن اليوم الذي افتتح فيه مؤتمر السلام في فرساي ، في ١٨ كانون الثاني ١٩١٩ اصبح بمثابة «يوم الحساب» بالنسبة للشعب العربي الذي كان ينتظر بيانا يتلاءم مع مطامحه . لكن نظام «الوصاية» هو الذي قرر وبقية القصة معروفة في خطوطها العامة ، ففي البدء عقد مؤتمر سان ريمو في نيسان ١٩٢٠ (٢) ، ثم جاءت معاهدة سافرس التي وقعت في ١٠ آب ١٩٢٠ (٣) ليتعهدا بانزال الضربة القاضية بالآمال التي اشرقت امام الحركة القومية العربية بعد الثورة الكبرى .

اما ما لا يعرفه الغربيون بنفس الوضوح فهو ان الشعب العربي في هذه الفترة ، حوّل المنطقة الى موقد نار والى بركان هائل بواسطة نضاله البطولي ضد نظام «الوصايات» الذي اعتبره خيانة واضحة للعهود المقطوعة له . وهكذا فان الشعب العربي شاهد تمزق وطنه بعد ان اخضعته قوة المدافع ، رغم ان هذه لم تقتل مُثله ،

---

(١) الكيالي (الدكتور عبد الوهاب) ، تاريخ فلسطين الحديث ، ص ١٠٠ .
تشايلدرز (ارسكين) ، الحقيقة عن العالم العربي .
(٢) عقد المؤتمر كل من فرنسا وانكلترا وايطاليا ، وحضره كل من كليمنصو ، لويد جورج وادرلاندو . وقد تم الوصول الى وفاق بين انكلترا وفرنسا حول نفط الموصل .
(٣) حددت المعاهدة شروط السلام التي فرضها الحلفاء على تركيا .

التي بدأت ، على العكس من ذلك ، تنمو وتترعرع ؛ فالعراق (الذي عانى ايضا من احتلال منطقة عربستان من قبل الفرس) وفلسطين (التي وضعت لها قوانين خاصة تضمن تطبيق وعد بلفور) وضعتا تحت الحماية البريطانية . اما سورية ولبنان اللتان فصلتا بصورة مصطنعة ، فقد وضعتا تحت الحماية الفرنسية .

وهكذا نرى ان كل الوطن العربي (من طرفه الافريقي الى طرفه الآسيوي) وضع عمليا ، غداة الحرب العالمية الاولى ، تحت احتلال الدول الاوروبية . ولم ينج الا شبه الجزيرة العربية والشطر الشمالي من اليمن من وحشية فرنسا وانكلترا وايطاليا ، لكن هذه الاقطار العربية التي كان يحاصرها عالم من المتسلطين والظالمين غرقت في هاوية الاقطاعيين وظلام العهود القديمة .

ب ـ الانتفاضات الثورية العربية

كان معنى نهاية الحرب بالنسبة للوطن العربي ، الدخول في مرحلة تاريخية اشد تعقيدا والتباسا . وبما ان هذا الوطن قد عانى من الاذلال والاستغلال فيما مضى ، فقد اخذ يرد على هذا ، منطلقا من مبدأ اساسي يعلم بموجبه ان عليه الاعتماد على قواه الذاتية فقط لتحقيق حريته واستقلاله ، وهذا يعني ان الجواب الذي عليه ان يقدمه مرة بعد اخرى ضد مطامع المستعمرين (التي لا يمكن تجاهلها ولا السكوت عنها) هو الصمود والنضال العنيف لتحقيق الثورة السياسية والاجتماعية .

وفي الواقع فان كلا من فلسطين وسورية ولبنان ومصر والعراق شهد انتفاضات عمالية وفلاحية برهنت عملياً على ان الجماهير الشعبية بدأت تنمو سياسيا وتنظيميا لتناضل بفعالية اعظم ، ضد الاستعمار وعملائه ومصالحه في الوطن العربي . غير ان المستعمرين لم يألوا جهدا في تقييد حركة النضال وفي ابعادها عن اهدافها الثورية ، واستعملوا في البدء سلاح العنف ، لكنهم سرعان ما اضطروا الى الاعتراف بان هذا لن يؤدي الا الى تنمية عنف مضاد يصدر كرد فعل ، عنف يزداد تنظيما ، لانه عنف الثورة .

هنا بدأ الاستعمار باعتماد الطريقة الثانية المألوفة لدى المسيطرين : اي افساد قادة حركة النضال . . انها مناورة ذات حظ كبير ودائم النجاح ، وذلك عندما تستهدف اشخاصا لا يتمتعون بوضوح ذهني كاف ولا بصمود ثوري ملائم .

ورأينا في هذا الصدد كيف ان بريطانيا العظمى ظنت ان بوسعها ايقاف مد النضال الشعبي (ومواصلة صداقتها مع الاسرة الهاشمية) ، بمنحها لابني الشريف حسين ، اي فيصل وعبد الله ، عرشي كل من العراق وامارة شرقي الاردن .

بيد ان حركة النضال التي لا يمكن ان تضعف ، بدأت على العكس من ذلك ، تنمو وتقوى ، حتى ان بوسعنا القول ان هذه الحركة ميزت العقود الثلاثة التي جرت بين **١٩٢٢ ـ ١٩٥٢** . وقد لعبت دورا اساسيا في هذه المرحلة الجمعيات والحركات السياسية التي عمقت في هذه المرحلة ، ومن خلال نضالها ، موضوع الوحدة الجدلية القائمة بين النضال القومي والنضال الاجتماعي . وفي الواقع ، إذا كان واضحا بما فيه الكفاية ، ان هدف الغليان الثوري في هذه الحقبة يتجه بكل تأكيد نحو طرد المستعمرين ، فلا شك ان تبلوره اخذ يوضح باستمرار ان امكانية تحقيق هذا الهدف مرتبطة بوحدة الشعب العربي ، وبنمو نضاله ضد القوى الرجعية والاقطاعية التي ربطت مصيرها بمصير الاستعمار البريطاني .

وقد اكد ارسكين تشايلدرز ، في معرض حديثه عن هذه الفترة (١) ، التي سُميت اعوامها بين **١٩٢٢ ـ ١٩٥٢** اعواما انتقالية ، قائلا : «ومن الحق ان ننظر في معرض الذكريات الى الثلاثين سنة التي انصرمت بين عامي **١٩٢٢ ـ ١٩٥٢** على اعتبار انها فترة انتقالية ، كانت تحتشد فيها قوى ديناميكية جديدة وحاسمة خلف القيادة العربية القائمة» .

كما ان تشايلدرز أوحى لدى ابرازه ضرورة إجراء تحليل عميق لاحداث الفترة ، بطريقة في الدراسة تشهد ، ضمنا على الاقل ، بنمو نوعي في حركة النضال حين يقول : «ويمكن رؤية الطبيعة الانتقالية لهذه الفترة عن طريق اجراءات الدول الكبرى في المنطقة ، وصيغة الحكم العربي والقيادة العربية في هذه الفترة ، والافكار التي كانت تسير في طريق النضوج مع الاجيال الطالعة » .

انها افكار نضالية يتواصل وجودها بين شرق الوطن العربي وغربه ولا تتأثر بوجود الحدود المصطنعة التي فرضت على هذا الوطن ولا بمختلف أنواع الحكومات أو باختلاف انواع المحتل الذي استعمر مختلف بقاع الوطن .

---

(١) تشايلدرز (ارسكين) ، الحقيقة عن العالم العربي ، ص ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ .

وليسمح لنا القارىء بالاستشهاد مرة اخرى بتشايلدرز كي نؤكد شمولية التجربة النضالية خلال تلك الاعوام ، والتي ترسم الخط الذي سنسوق على مجراه حديثنا حول الوحدة العربية ، يقول :

«وقد امتازت جميع السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية وتلتها مباشرة ، بالاضطهاد والسجون وتقديم الطلبات الاصلاحية المعتدلة في المغرب . وكان الوحي دائما يأتي من المشرق العربي . فمثلا جاء اول طلب مراكشي وطني للاستقلال التام عام ١٩٤٤ بعد الاحداث التي وقعت في لبنان ، الذي كان يرزح آنذاك تحت الانتداب الفرنسي» .

وهكذا فعندما انفجرت الحرب العالمية الثانية كان الوضع في الوطن العربي قد وصل الى نقطة الانفجار ، فما ان تهدأ انتفاضة حتى تستفحل اخرى في مكان آخر ، اعنف واقوى من سابقتها ، لهذا فقد اصبح الوطن العربي سجنا واسع الارجاء لكثير من المناضلين من اجل الوحدة والحرية ، الذين بدأوا يرون ان الاسباب التي حدت بهم الى النضال تنمو وتزداد ، خاصة في اعقاب الثلاثينات بسبب عاملين هامين : اولهما ما ذكرناه عن منح لواء الاسكندرون الى تركيا ، وثانيهما تكاثر الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، بمساعدة الانكليز ، والى حد سمح لاتباع صهيون بالتحكم الاقتصادي وبالاماكن الرئيسية في الادارة ، مما الحق كثيرا من الضرر بالسكان العرب اصحاب البلاد الاصليين .

وهكذا فان الشعب العربي اجتاز عتبة الحقبة المعاصرة ، والنضال الجدي الذي فرضته ـ متأخرا عن غيره بأربعة قرون من الزمن ـ اعداد لا متناهية من المشاكل المعقدة التي تتطلب حلولا لها ، ومع هذا فقد اجتاز تلك العتبة ، وقد اغتنى بخبرة نضالية وتنظيمية اكتسبها اثناء حرقه للمراحل السابقة ، وكان هذا توطئة للتطورات اللاحقة نحو التحرر الكامل .

جـ ـ الاحزاب السياسية

لن يكمل الحديث الذي نخط هنا اتجاهاته العريضة ان لم نذكر بعض الاشارات حول الحركات والاحزاب السياسية التي ظهرت وتنظمت في تلك الآونة ، على مستويات «قطرية» وعلى مستويات «قومية» بل وحتى «دولية» . ولا بد من الاشارة ايضا من جهة اخرى الى نشوء أحزاب أو طوائف دينية على اسس «اسلامية ـ دولية» .

والواقع ان كثيرا من الاحزاب قد نشأ بين الحربين العالميتين : فحزب الاستقلال العربي نشأ في عام ١٩١٩ ، وحزب الشعب (في سورية ١٩٢٠) ، والهيئة العربية العليا (في فلسطين عام ١٩٢٠) وحزب التحرير الدستوري التونسي (١٩٢٠) ، وحزب التحريريين الدستوريين (في مصر ١٩٢٠) ، وحزب الاتحاد المصري (١٩٢٥) ، وحزب الاخوان المسلمين (نشأ في مصر ١٩٢٨) ، ونجمة شمالي افريقيا (في الجزائر ١٩٢٧) والعمل المغربي (١٩٣٤) ، والحزب القومي السوري الاجتماعي (في لبنان ١٩٣٢) ، وعصبة العمل القومي (ولدت في سوريا عام ١٩٣٣ ثم توسعت) . وهناك أيضاً احزاب ذات سمة «طائفية ضيقة» مثل حزب النجادة وحزب الكتائب اللذين ولدا في لبنان عام ١٩٣٦ . كما ان كثيرا من الاحزاب الشيوعية شهدت النور في هذه الفترة : في فلسطين مثلا (خلال عملية تنظيم امتدت من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢١) وفي مصر وسوريا ولبنان (١٩٢٤) واخيرا في العراق (١٩٣٦) .

والجدير بالذكر ان برامج كل هذه الاحزاب لم تلب حاجات الشعب العربي التي تتلخص في الاستقلال والحرية ، ووحدة الوطن العربي الاساسية التي تقتضي تشييد بناء سياسي موحد ، يقضي على مختلف العهود السابقة من ظلم وفقر وجهل ، وفي بناء مجتمع عربي اشتراكي ديمقراطي موحد ، غير ان أهم الاحزاب السياسية التي سبقت نشوء حزب البعث العربي افلحت ، «رغم انها لم تستجب للمقتضيات المشار اليها آنفا ، ورغم انها كانت بالتالي تتناقض مع الايديولوجية المستمدة من تلك المقتضيات والتي سيتبناها البعثيون» ، في استقطاب مؤيدين لها . ونذكر بصورة خاصة الشيوعيين والاخوان المسلمين ، والقوميين الاجتماعيين الداعين لسورية الكبرى . فلنر اذن الصفات الرئيسية لهذه الاحزاب الثلاثة :

الاحزاب الشيوعية

كان للاحزاب الشيوعية في الفترة التي نعالجها اساس تنظيمي معقول بالنسبة للاحزاب المعاصرة ، كما كان لها بنية ايديولوجية متينة قائمة على الماركسية ـ اللينينية تغنيها ثروة نظرية اشتراكية ضخمة . اما نواقصها الظاهرة جدا ، فكانت تكمن في غياب اطر قيادية تكون على مستوى تلك النظرية ، وهذا مما اوقع تلك الاحزاب في خضات لم تكن قليلة . غير ان الهفوة الاخطر كانت ذات طابع سياسي : فالشيوعيون كانوا يتجاهلون المشكلة القومية العربية ، وكانوا لا يعطونها حق قدرها ، لا بل ان عملهم السياسي كان يتجه احيانا وجهة معاكسة لها بصورة كلية ،

هذا مما جلب لهم ارتباكات ليست قليلة امام الجماهير الشعبية .

وهكذا فانهم وجدوا انفسهم عمليا في موقف مزعج آزروا فيه الاستعمار الفرنسي ، عندما ارادوا تبني شعار الاممية الثالثة وتطبيقه بحرفيته على الوطن العربي ، من اجل «انتصار الديمقراطية على الفاشية» ، ولهذا وجدناهم ينشطون في كل من سوريا والجزائر والمغرب وتونس بطريقة لا تتعرض البتة بسوء الى المستعمرين في هذه الاقطار .

وكان نفس التصرف الذي يعني الدعم الموضوعي للوجود الاستعماري السمة الاساسية لسلوك وسياسة الشيوعيين خلال الظروف التي ادت الى فصل الاسكندرون عن الوطن العربي (فقد اعتبروا ذلك «أمرا لا مفر منه» في سبيل «صيانة السلام والدفاع عنه») والى تقسيم فلسطين حيث أيد الشيوعيون هذا الامر من خلال قرار أصبح معروفا .

على أية حال فان هفوات الاتجاه السياسي للاحزاب الشيوعية لا تبرز فقط عندما ننظر الى مسائل القومية العربية والوحدة العربية ، بل أيضاً حين نأخذ بعين الاعتبار مسائل التحالفات الاجتماعية والسياسية التي لا بد من انشائها خلال المسيرة نحو الاشتراكية .

وما ان نعالج اتجاهات الاحزاب من خلال وجهة النظر هذه ، حتى تبرز لدينا سلسلة من الخيارات التي وضعت ، خلال مرات ليست بالقليلة ، الشيوعيين في موقف التعاون اللاطبيعي (والمشكلة لا تتغير حتى لو كان تهاونا تكتيكيا) مع بعض الحكومات العربية التي كانت تعبيرا مباشرا عن القوى السياسية الرجعية البرجوازية .

ويكفينا التذكير بخطاب انتخابي القاه خالد بكداش في عام ١٩٤٣ كيما نبين صحة نقدنا ، فقد أكد زعيم الحزب الشيوعي السوري ، وهو من كبار قادة الاحزاب الشيوعية العربية ، قائلا : «ان القضية ليست في نظرنا إقامة نظام اشتراكي في لبنان او في سورية وان كل ما نطلبه وما سيناضل من اجله نوابنا القلائل في المجلسين النيابيين في سورية ولبنان هو ادخال بعض الاصلاحات الديمقراطية التي يتحدث عنها الجميع ، والجميع متفقون على ضرورتها ... ونؤكد لاصحاب الاراضي والملاكين اننا لا نطالب ولن نطالب في البرلمان ، مصادرة املاكهم ، وأراضيهم ، بل على العكس ، مساعدتهم بطلب انشاء مشاريع واسعة للري ، وتسهيل استيراد الاسمدة واستعمال الآلة الحديثة ، كل ما نطلبه مقابل

ذلك الرفق بالفلاح واخراجه من حالة البؤس والجهل ونشر العلم والصحة في القرية . . . الخ . وهذه هي مطالبنا الاقتصادية او الاجتماعية اذا صح التعبير وهي ديمقراطية معتدلة جدا» (١) .

والنتيجة التي يمكن استخلاصها من تلك الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي هي على خلاف المبادىء النظرية التي اعلنتها الماركسية ـ اللينينية ، فان تلك الأحزاب تجنبت مجابهة المشاكل الكثيرة التي حتمها الصراع الطبقي ، كما تجنبت اثارة المسألة الفلاحية بصورة جذرية . ومما يجدر ذكره ، حين تفسير اتجاه عملهم السياسي هذا ، التأكيد بأنهم يشكلون جانبا من جوانب ظاهرة (مشتركة بين كثير من الاحزاب الشيوعية في العالم في تلك الفترة) الخضوع المطلق للاستراتيجية الستالينية من النواحي السياسية والنظرية . وهو الامر الذي افقدهم كل مقدرة مستقلة على حركة تتلاءم مع مقتضيات الجماهير العربية الحقيقية .

الاخوان المسلمون

الاخوان المسلمون حركة دينية منظمة عرفت كيف تدخل في صفوفها جماهير واسعة من الشعب العربي عن طريق استغلال المشاعر الدينية . وهم يحاربون الافكار الاشتراكية على السواء ، اما الشعار الذي رفعوه ليسيروا به على طريق التعصب فهو شعار محاربة الشيوعية والالحاد .

أما اهدافهم الرئيسية فهي (٢) :

١ ـ ايجاد دولة اسلامية قائمة على مبادىء القرآن وتعاليم السنة (٣) .

٢ ـ القيام بعمل سياسي يهدف الى انشاء جامعة اسلامية تنشط مبدئيا في مصر لتشمل فيما بعد الوحدة العربية ووحدة كل العالم الاسلامي ، من حيث انه لا تناقض (في رأيهم) بين الاهداف الثلاثة .

---

(١) صوت الشعب ، العدد ٣٩ ، تاريخ ١٩٤٣/٥/٩ .
(٢) علوش (ناجي) ، الثورة والجماهير ، دار الطليعة ، بيروت ، ص ٢٣ .
(٣) البنا (الامام حسن) ، رسالة المؤتمر الخامس ، دار الكتاب العربي ، مصر ، ص ١٤ ـ ١٦ .

٣ ـ العودة الى الشرع الاسلامي في مجابهة جميع المشاكل .

أما وسائل العمل المختارة لتحقيق هذه المبادىء فهي :

أ ـ الوعظ .

ب ـ اختيار الانصار واعدادهم .

ج ـ العمـــل .

وقد وصف مؤسس الاخوان المسلمين حسن البنا منظمته على الشكل التالي : «ان الاخوان دعوة سلفية ، وطريقة سنية ، وحقيقة صوفية ، وهيئة سياسية ، وجماعة رياضية ، ورابطة علمية وثقافية ، وشركة اقتصادية ، وفكرة اجتماعية» (١) . في الواقع ان الاخوان المسلمين ارتكبوا عمليا نفس اخطاء الشيوعيين : فهم مثلهم ، يرفضون القومية العربية . وقد حملهم هذا الرفض المرتبط كليا بمحافظتهم الدينية ، الى اتخاذ مواقف تعادي كل العداء الحركة العربية الحديثة والاشتراكية العلمية بل ونفس الفكرة القائلة بطريق عربي نحو الاشتراكية . اما حديثهم المفضل فهو الذي يعلق على نفسه بنفسه «ان العلمانية هي من صادرات الغرب الاستعماري» (٢) .

الحزب القومي الاجتماعي السوري

ان لهذا الحزب ايديولوجية تستمد اصولها من كتاب «نشوء الأمم» الذي الفه مؤسس الحزب أنطون سعادة ، وبوسعنا تفصيل هذه الايديولوجية الى ثماني نقاط :

أـ سورية للسوريين والسوريون يشكلون في حد ذاتهم أمة كاملة .

بـ ـ المسألة السورية هي مسألة قومية ومستقلة عن كافة المسائل الاخرى .

---

(١) البنا (الامام حسن) ، المصدر نفسه ، ص ١٤ ـ ١٦ .

(٢) المصدر السابق ؛ راجع ايضا :
الحسين (اسحاق موسى) ، الاخوان المسلمون .

جـ ـ المسألة السورية هي مسألة الوطن السوري والقومية السورية .

د ـ الامة السورية هي وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع الى ما قبل الزمن التاريخي الجلي .

هـ ـ الوطن السوري هو البيئة الطبيعية الوحيدة التي نشأت فيها الامة السورية .

و ـ الامة السورية هي واحدة وتشكل مجتمعا موحدا .

ز ـ ان نمو وتطور سورية قوميا واجتماعيا انما يولدان بصورة روحانية عن المعطيات الطبيعية الكامنة في الامة السورية وعن تاريخها السياسي والثقافي والقومي .

حـ ـ يجب ان تسود مصلحة الامة السورية على كل المصالح .

ولتحقيق هذه الاهداف قدم أنطون سعادة خمسة مبادىء اصلاحية رئيسية :

أ ـ منع رجال الدين من التدخل في كل المسائل السياسية والقضائية .

ب ـ هدم كل الحواجز التي تعزل فئة دينية او طائفية عن غيرها .

ج ـ الغاء الاقطاعية واعادة تنظيم الاقتصاد الوطني على اساس التوزيع العادل لانتاج العمال ، مع احترام مصالح الامة والدولة .

د ـ تحديد حدود الوطن الذي يعيش فيه المجتمع (١) .

وهكذا نرى ان الحزب القومي الاجتماعي السوري يملك بين حناياه اتجاهات ليست قليلة تقربه من الهتلرية والفاشية ، وتبرز حتى من خلال السلوك العملي لاعضائه الذين يقدسون زعيمهم ، ويقيمون عمليات «الاقناع» على العنف الذي يميّز جماعاته شبه العسكرية والمغالية في تعصبها وتطرفها .

اما برنامجه الداعي الى الاصلاح الاجتماعي فهو قليل الوضوح ، بل ومتشابه في ديماغوجيته ، ولا يتلاءم على اي حال مع مقتضيات الشعب العربي ولا مع حاجات الانسان العربي في حد ذاته ، بل ولا مع حاجات الطبقات الشعبية .

---

(١) النظام الجديد ، المجلد الثامن ، ١٩٤٨ ، ص ٣٦ ـ ٤٧ ؛ الحزب السوري القومي الاجتماعي .

واذا تركنا جانبا الحكم السلبي ، بالضرورة ، على طبيعة هذا الحزب الفاشية ، فان هفوته الاساسية تبدو (عندما ننظر اليه من الناحية التحليلية التي ينطلق منها هذا البحث) في نفس المنطلق الذي يستمد منه هذا الحزب اصوله : اي في كونه يتجاهل وجود امة عربية واحدة ، ليتسنى له تمجيد قومية اخرى منحرفة وشوفينية ، تنتمي الى ما يسمى بسورية الكبرى التي تشكل بالنسبة له مجتمعا متكاملا وخالصا ، على المستويات الجغرافية والتاريخية والسياسية . ورأينا كيف ان هذا المنطلق تضخم بشكل دفع الحزب الى رفض ادخال اي تفصيل قومي عربي في برنامجه ورفض حتى تلك التفاصيل الواضحة امام الجميع ، مثل وجود لغة وثقافة «عربية» وليست «سوريّة» على وجه التخصيص . ان هذا النوع من المواقف جعل من السهل ان يجد الحزب القومي السوري نفسه منعزلا عن الجماهير الشعبية ، ومقتصرا بوجوده على فئات معينة من المثقفين المرتبطين بثقافة اوروبية يمينية متطرفة ، والجاهلين كلياً للواقع العميق للاطار الاجتماعي الذي يعيشون فيه ولكل مشاكله الحقيقية .

خاتمـــة

رأينا كيف ان الامة العربية اجتازت ، من المحيط الى الخليج ، في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، لحظة تاريخية اتسمت بالتغلغل الاستعماري الاوروبي (وبكل ما تبعه من تجزئة الوطن ، ومن استغلال وتفقير شعبه) وبرد فعل شعبي على هذا الوضع وبتأمل سياسي - في النهاية - تم من خلال تجميع الجهود من اجل ممارسة النضال الذي فرضته الاحداث .

وكان للتجربة السالفة والشاملة التي خاضتها الامة العربية وخضعت من خلالها للتناقضات بين القوى الامبريالية ومختلف القوى الاستعمارية ان سهلت نضوج جيل جديد من الكوادر - في هذه الفترة المتميزة بالتأمل - ومن المناضلين القوميين ، جيل مختلف عن الجيل الذي سبقه ، وقادر على تجاوز غموض الطبقة السياسية القديمة ، وعلى وضع اسس لخلق حركة قومية موحدة قادرة على جمع شمل كل العرب ، وعلى ان تضم في شموليتها المشكلة القومية بالذات ، بعيدا عن الانانيات والتناقضات التي قد تتبعها ، بل وعلى تقديم حلول جذرية وعلى القيام بمجابهة مباشرة لاعداء الداخل والخارج .

تكوين وتأسيس وبناء حزب البعث العربي

● ضرورة القفزة النوعية للحركة القومية العربية الوحدوية

هناك في الاطار الشديد التعقيد والكثير التفاصيل - الذي رأيناه - والذي رسم الوضع السياسي في الوطن العربي عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى امر يستحق انتباها اكبر من الذي يولى له عادة . نشير الى انه ، رغم وضع التأخر على جميع المستويات ورغم وضع البؤس وتجزئة الوطن (وربما بسبب هذا الوضع) قد ولد جيل جديد من المناضلين الثوريين الذين احرقوا مراحل وعيهم ولم يكتفوا بتسجيل مرارتهم لفشل حركةانطلقت لتحقيق الوحدة القومية والاستقلال، ومعها علاقات اجتماعية ايجابية جديدة، لكنها انكفأت لتحارب معارك المستعمرين الاوروبيين، بل انهم ـ على العكس ـ رفضوا بإباء جمود هذه المعطاة، ولم يقبلوا بها الا على انها نقطة واقعية لا بد من الانطلاق منها ، لمنع تحول الحدود التي بدأ الاوروبيون يخلقونها بين قطر وآخر ، الى رمز مرئي ودائم لابتعاد الاستقلال الحقيقي . وكان هذا جيلا متمرداً ، قادرا على القبول بأية تضحية عن طيب نفس وسرور قلب ، جيلا عنيدا يرفض منح الثقة للزعماء التقليديين ، لابل انه يرمي بهم جانبا لانه يرى انهم يشاركون في مسؤولية التجزئة التي تقيد الوطن العربي . وكانت جهود هذا الجيل ، تتركز اكثر ما تتركز ، في نشاط عنيد وعلاج جديد مختلف عن علاج الجيل السابق ،

في جملة ما يهدف ، الى تجاوز المنطق الذي كان يسيرّ الاحزاب التقليدية ، كما يرمي الى خلق حركة قومية على اساس نمو الافكار القومية ، حركة تضم كل العرب وتمضي قدما - بعد الانطلاق من التناقضات الكامنة في الواقع - لتحقيق حلول جذرية تضمن الوصول الى مخارج ايجابية وشاملة للمقاومة التي تبديها كل الامة العربية ضد اعداء وحدتها في الداخل والخارج .

وكانت جهود هذا الجيل الفكرية تتواكب - كما أسلفنا - مع قيامه بنشاط عملي يستند الى حركة منظمة والى تمرد مفتوح ومعلن ضد الانكليز والايطاليين والفرنسيين يشمل كل الوطن العربي ، ذلك كما تشهد الثورات التي اشتعلت في مصر عام ١٩١٩ ، وفي العراق عام ١٩٢٠ ، وفي سورية وفلسطين خلال الوقت نفسه ، كما في ريف ليبيا وتونس عام ١٩٢٠ . وكانت بطولية على وجه الخصوص الثورة المسلحة التي اشتعلت في ريف المغرب ونظمها وقادها عبد الكريم الخطابي ، والتي كان للمساهمة الشعبية الكبيرة فيها ان ساعدت على هزيمة ثلاثة جيوش متعاقبة هي جيش الملكية والفرنسيين والاسبان . وقد بقي هذا الوضع العربي الملتهب متمركزا في جبال الاطلس المغربي حتى بداية الحرب العالمية الثانية(١) .

وكانت لهذه الانتفاضات والنضالات ، التي لم نذكر الا الكبيرة منها ، سمات مشتركة (نود القول سمة مشتركة) وذلك بغض النظر عن الشروط الخاصة للمناطق التي تحققت فيها . وهناك عاملان نرى من الضروري التركيز عليهما لاهميتهما القصوى (٢) .

- الاول يتعلق باتجاه هذا النضال الذي كان من تدبير الاقطاعيين وفئات من الارستقراطية المدنية والمثقفين ، رغم أن القاعدة الجماهيرية كانت شعبية وبصورة خاصة فلاحية .

- الثاني يتعلق بالظرف الذي تحول بموجبه ذلك الاتجاه - خلال المرحلة التالية وفي كل الاوضاع - عن خط الجماهير المناضلة من اجل الحصول على استقلالها ليرسو على خط مختلف كلياً ، جانبي وقابل للامتصاص من قبل القوى المتسلطة ، وكان هذا نتيجة مباشرة لكون الاستعمار قد تمكن من كسب الفئات الحاكمة الى جانبه . ولم تكن هذه الظاهرة غيبية او لاعقلانية البتة ، بل انها تتجاوب

---

(١) الثورة العربية ، بغداد ، السنة الرابعة ، ١٩٧٢ ، العدد الثاني ، ص ٩٢ .

(٢) الثورة العربية ، بغداد ، السنة الثانية ، ١٩٧٠ ، العدد الثالث ، ص ١٠٢-١٠٣ .

مع منطق موجود في كل انواع النضال في بلدان ما يسمى بالعالم الثالث . فبعد المرحلة الاولى التي تتميز ببحث البرجوازية المحلية الناشئة عن حيز خاص بها ، وبترسخ بقايا البنى الاقطاعية في مجابهة القوى الاجنبية المتسلطة ، نرى ان مرحلة اخرى تعقب دائما هذه المرحلة وتحصل الطبقات الشعبية فيها - وهي الطبقات التي تستخدم عادة الجماهير في المناورات - على هويتها المميّزة التي تكون بذورها ماثلة خلال النضال من اجل التحرير الوطني ، وبحيث يصل الطرفان في النهاية الى اقتناع بمبدأ عدم توافق مصلحتيهما وبضرورة قلب التحالفات التي شكلت من قبل .

اما فيما يخص الوطن العربي(١) عقب انتهاء الحرب ، فنجد ان هذا القانون الجدلي (الذي يريد البعض تقليصه حتى القول بضعفه في تربية الفئات الحاكمة العربية بدلا من مجابهة المشكلة في حدودها الموضوعية) يعبر عن ذاته في القبول باشكال التسلط الاستعماري الجديدة التي حملها الأوروبيون ، من قبل الطبقات المتسلطة التي قادت النضال ضد المستعمر في مراحله الاولى . كما يعبر عن ذاته في رفض الطبقات الشعبية لهذا التحالف ، وهي الطبقات التي وجدت في نوع الاصطدام الجديد الذي بدأ يبرز ، ذلك الوعي الذي جعلها تدرك انها لم تنل ايا من الاهداف التي كانت تطمح الى تحقيقها ، على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، بعد سقوط الامبراطورية العثمانية .

قلنا ان هذا النوع من النضال جديد . وفي الواقع فهو لا يتجه ضد المستعمرين الأوروبيين وحسب بل ضد التحالفات العميقة والجذرية ، التي افلح المستعمرون في عقدها محليا وعلى الاصعدة السياسية والاقتصادية والدستورية ، مع الطبقات الحاكمة ، حتى ان نتائجها ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا(٢) .

وباكتشاف العدو الحقيقي ازدادت وضوحا أهداف الحركة الثورية العربية ، وقد رافقت هذه العملية عملية اخرى ارتبطت بها اهداف الاستقلال والتحرر من الاستعمار بما تم اكتشافه من مضامين اجتماعية وطبقية وسياسية ، لم تكن فترة النضال السالفة تعرفها ، والتي لا يمكن للاستقلال والتحرر الا ان يكونا شكليين بدونها « فلقد ادركت جماهير الشعب ان الفئات الاجتماعية والسياسية التي انسلخت عنها أصبحت عماد المستعمرين ، بل ودرعهم الواقية ، يطوقون بها نضالهم

---

(١) الثورة العربية ، بغداد ، السنة الثانية ، ١٩٧٠ ، العدد الثالث ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .
(٢) الثورة العربية ، بغداد ، السنة الرابعة ، ١٩٧٢ ، العدد الثاني ، ص ٩٢ ـ ٩٣ .

المشروع ، وقد بذلت هذه الفئات محاولات شتى من أجل شل وحل حركة الجماهير والحيلولة دون أن تأخذ دورها النضالي الكامل الذي سيستهدف اساسا ، قلب الواقع العربي الفاسد بكل تخلفه ومؤسساته الاجتماعية وقيمه البالية التي تعيق تقدمه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي »(١).

وهكذا نرى ان نضال الجماهير لم يعد منصبا على مقاومة الاستعمار وانما تحول تحولا جذريا نحو تلك الطبقات الحاكمة يقاومها ويتحدى وجودها ويعمل على استئصالها ، وظل هذا الصراع ينمو يوما بعد آخر ، معمقا جذوره ، مع اختلاف الظروف ودرجات النضج بين مختلف الاقطار العربية .

ان الديناميكية العامة للفترة التاريخية التي نحللها ، والتي بوسعنا وصفها بصورة موجزة انها كانت تحولا جذريا في سيادة الحركة القومية العربية واتجاهاتها (بكل ما يتبع هذا) ، تكمن اصلا في سلسلة من العوامل(٢) التي سنلخصها فيما يلي :

أ ـ نشوء طبقات جديدة ونموها كمّا ونوعا ، فهناك :

١ - البرجوازية الصاعدة : كان أن دخلت موضوعيا مصالح بعض الفئات داخل هذه الطبقة ، في تناقض مع سيطرة الاستعمار ومع سيادة الطبقة الاقطاعية والزعماء القبليين والارستقراطيين القديمة ، وقد تحركت فئات البرجوازية ، موضوع الحديث ، ضد تحالف هذه القوى الموجودة في السلطة من اجل المطالبة بتغيير يضمن بفسح مجال لها يمكنها من المشاركة في السلطة السياسية ، ويعطيها دورا خاصا يكفل لها التحكم بمصالحها والدفاع عنها .

٢ - البرجوازية الصغيرة : وهي مؤلفة بشكل عام من صغار التجار والموظفين والمثقفين والمهنيين وضباط الدرجات الدنيا . وهي متأثرة بالحضارة الحديثة وشديدة الحساسية تجاهها . كما انها الطبقة التي تشعر بدقة اعظم بالتأخر المخزي الذي يميز الحياة في البلدان العربية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وانطلاقا من هذه القناعة شعرت هذه الطبقة بانها القوة الملائمة لتحقيق

---

(١) لمحات من تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي ، المكتب الثقافي القومي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ص ٣ ، ٤ .

(٢) الثورة العربية ، بغداد ، السنة الثانية ، ١٩٧٠ ، العدد الثالث ، ص ٣٩ .

التغيير بكل ابعاده ومعانيه ، كما انها رأت ان هذا الامر يتطلب ضرورة ايجاد دور خاص بها ، في الحكومة وفي جهاز الدولة وفي كل القطاعات الاخرى ، ذلك مع اعتبار أهمية نمو فكرة الدولة في المجتمع ، ومع النظر الى ان هذه اضحت اضعف حلقات السلطة ، بسبب الاستياء الذي ولدته بعد كثرة استغلالها من قبل الطبقات السياسية الرجعية لتحصيل الارباح الشخصية والعائلية والاستزلامية .

٣ - الطبقة العاملة : نرى ان هذه الطبقة ترتقي باستمرار بسبب النمو المضطرد الذي تحقق في مجالي الصناعة والخدمات ، كما بسبب توسع المصالح الاجنبية ، وبصورة خاصة الشركات النفطية في البلدان المنتجة للبترول . ونجد ان الوضع السياسي ، وشروط الحياة البائسة في نواحي الاقتصاد والمجتمع التي تميز هذه الطبقة ، هي معطيات عملية أُضيفت الى بقية العوامل التي تميز الوطن العربي لتدفع كلها جميعا الشغيلة العرب الى الكفاح المتواصل والدائم ضد المستعمرين وحلفائهم الرجعيين وضد كل اشكال الاستغلال والتأخر التي ترزح تحت وطأتها كل الاقطار العربية .

ب - توسع التعليم شيئا ما بالنسبة الى الفترة العثمانية بعد انتشار معاهد جديدة ومدارس ابتدائية وثانوية وتأسيس بعض الجامعات .

ج - انتشار حملة فعلية تحث على بعث الماضي العربي وتاريخه وحضارته وثقافته .

د - تفجر مجالات جديدة للمجابهة ، وذلك بعد ان ظهرت ، بصورة واضحة على مسرحّ الاحداث العربي ، تيارات ايديولوجية ومثالية معاصرة ، مثل التيارات القومية والليبرالية والاشتراكية . كما تطورت بين الجماهير ، الافكار القومية والدعوة لتحقيق الوحدة العربية . بيد أن ظاهرة ، سبق ان اشرنا اليها ، بدت في طريقة تبني هذه الافكار من قبل اشخاص بارزين ، ومن قبل بعض الاحزاب السياسية المرتبطة بالطبقة المستغلة ، وأضيفت الى التأثيرات التي ظهرت في تلك الفترة في أوروبا وتمثلت في الاتجاهات الشوفينية التي تحكمت بالمثل القومية ، وذلك لتولد لدى الامة العربية ـ وبشيء من التركيز في بادىء الأمر - انحرافا في الحركة القومية التي وجدت نفسها بهذا ، مهددة باتجاهين كلاهما شديد الخطر على تطورها ونموها :

١ - اتجاه يستند الى عناصر معادية للانسانية ومطلقة الاحتقار لبقية الشعوب ولحقوقها ولتاريخها ، ولهذا كان سهلا عليه ان يرسو في مرفأ «الفاشية» و« الاشتراكية

الوطنية » لانه لم ير من القومية الا قطبا مختلفا ، اي قطب « الاستعلاء القومي » لشعب على بقية الشعوب . وقد قاد هذا الاتجاه بعض التيارات العربية بعيدا عن المطامح الحقيقية للجماهير الشعبية مما ادى الى عزل هذه التيارات عن تلك الجماهير .

٢ - اتجاه يرفض الاشتراكية لاسباب عديدة ومعقدة ، ويقود تيارات من الحركة القومية (حتى بعض التيارات التي لم تكن فاشية بصورة واضحة) الى محاربة كل اولئك الذين يدعون للاصلاح الاجتماعي كتطبيق القوانين الاشتراكية في الصناعة والزراعة . وكان أن ادى وجود هذين الاتجاهين داخل الحركة القومية (وهما غريبان في رأينا عنها) الى تحرك رد فعل غريزي ، غير عقلاني ولا علمي ، لدى دعاة الافكار الاشتراكية بالذات ، فخلطوا الامور ببعضها واتخذوا مواقف سلبية على مواقف سلبية من القومية ومن الوحدة العربية ، ذلك بعد أن فشلوا في اجراء التمييز اللازم بين فكرة القومية السليمة (بكل محتواها « الانساني ») وبين الانحراف النازي الذي تغلغل فيها . ونتيجة لهذا ، فقد شهد الوطن العربي في تلك الفترة تشكل نوعين من الحركات والمنظمات السياسية ، التي لا بد ان نتقصاها منذ الآن ، لان للامر اهميته القصوى ، لما يساعد عليه من ادراك مقياس الثورية الذي سيضعه البعث الذي سيجري - كما سنرى - عملية تركيب جدلي بين فترتي القومية والاشتراكية اللتين بقيتا حتى حينه متضادتين بصورة قسرية وغير طبيعية . وبوسعنا ان نلخص الوضع الذي نشأ في الوطن العربي في تلك الفترة على المستوى السياسي ونقول بأنه يتميز بوجود نوعين من الامور :

أ - حركات واحزاب قومية غير اشتراكية .
ب - حركات واحزاب اشتراكية غير قومية .

ان هذا الوضع السياسي الذي طرأ على حال الجماهير - كما رأينا سابقا - التي عاشت اجيالها الجديدة ، على وجه الخصوص ، تفاعلات كبيرة وايجابية ، بدأ يهدد ، من ناحية معينة ، بتشويه النضال القومي الوحدوي . كما بدأ يقود ، من ناحية اخرى ، هذه الجماهير الى نوع من انعدام الثقة بالطبقة السياسية التقليدية ، وقد بدأت الشكوك تحوم حول مشاركتها السابقة في الكفاح ، والتي تبين انها لم تكن

الا وسيلة ديماغوجية جديدة لخداع الجماهير وتكريس وضع التجزئة والتأخر المفروض (١) .

واذا كان صحيحا ان الحيوية التي تم بها انتقال السيادة من طبقة الى أخرى (بكل المشاكل التي تحتمها ، او التي تزيد من حدتها ، داخل الحركة القومية بالذات) ، هي التي كانت سبب « المراوحة » التي هددت بهدر كل ثمار الكفاح الذي بدأته الجماهير بجرأة ، فإنه صحيح ايضا ان هناك اسبابا اخرى قد لعبت دورها ، ولهذا لا بد من ابرازها ، فلا بد من البدء في ابراز ان كل الاحزاب والحركات التي كانت تلوح بشعار الوحدة العربية تستند الى بنى تنظيمية ومبادرات سياسية قطرية بحتة ، بمعنى ان احدا من تلك الاحزاب لم يخرج ، سواء في تنظيمه او في نوعية اطروحاته ، عن القطر الذي نما فيه . ويشكل هذا في رأينا ، تناقضا واضحا مع معنى الحركة القومية بالذات ، من حيث ان تلك الاحزاب تصبح عاملا مشاركا بالفعل في ظاهرة التجزئة المفروضة على الوطن العربي من قبل القوى الاستعمارية ، في نفس اللحظة التي تنقل فيها هذه الاحزاب الظاهرة الاقليمية الى داخل تنظيمها .

اما السبب الثاني للمراوحة في الحركة القومية ، فهو ان كل المنظمات السياسية لم تكن قادرة في تلك الفترة على تقديم رؤ ية كلية واضحة لفكرها الموحد ، اي لكيفية رؤ يتها للدولة الموحدة ، وللقوى الاجتماعية التي يجب ان تبنيها ، وللوسائل وللمحتويات الضرورية في النضال من اجلها ، كما للرابطة التي تجمع ، في نهاية الامر ، بين الخطة العامة وبين مصالح الطبقات الفقيرة التي تطمح للتحرر من الاستغلال ومن الاحتلال الاجنبي ، ذلك كي تحصل على شروط افضل في الحياة ، موفورة الكرامة والعزة . ان معرفة هذه الهفوات والنواقص ، والوعي بانه ما لم تنضج حلول بديلة تعوض عن سقوط الطبقات الحاكمة القديمة (سياسية كانت ام اجتماعية) في حضيض الانتهازية والتعاون مع الاستعمار ، فلم يكن هناك اي مستقبل للحركة ، ادى الى حدوث قفزة في الحركة الثورية ، نتجت عنها تنظيمات

---

(١) نضال البعث عبر مؤتمراته القومية ، ١٩٦٤ ، ص ٤٧ .
انظر ايضا : دراسات في الوطن العربي ـ الحركات الثورية والسياسية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، مجموعة من الاساتذة ، جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، العراق ، ١٩٧٣ ، ص

سياسية جديدة واحزاب جديدة قادرة - على جميع المستويات - على الوصول الى تلك الكثافة والى تلك الجذرية في المجابهة ، وهما امران مفروضان حتمتهما المرحلة الجديدة المعقدة التي دخل فيها التسلط الاستعماري (١) .

● نشأة البعث من منتصف الثلاثينات الى نهاية الاربعينات

ان ما ذكرناه في الفصل السابق يشكل القاعدة الواقعية والعامل المثير والمتكامل ، الذي ادى الى نشأة حزب سياسي ، قادر على تجميع هذه الدوافع ، وعلى تبني المقتضيات الواقعية للحركة ، ويكون بالضرورة متميزا في تنظيمه وفي نظريته ، كما في اتجاهه النضالي العملي ، عن جميع الاحزاب السياسية السابقة او المعاصرة .

اي انه كان من الضروري ، من الناحية الموضوعية ، وجود اداة قيادية تسير في الكفاح وتتحمل على جميع المستويات المشاكل الكبيرة التي تسود ، بدون استثناء ، في كل اقطار الوطن العربي ، وتكون قادرة كذلك ، على القيام بتركيب يجمع تلك الاقطار لتعطي بهذا كله جوابا عمليا وسهل التحقيق على الوضع الذي خلقه الاستعمار و « غطاه » عمليا ممثلو المصالح الخاصة ، وتجزئة الوطن القومية ، والتأخر والفقر والبؤس واختلال التوازن بين الطبقات . وهذا يعني باختصار ، ضرورة ولادة حزب يكون قادرا على معرفة جميع الامراض الاساسية التي يشكو منها الشعب العربي وعلى تقديم العلاج الناجع لها ، من اجل تجاوز وضع التردد والبلبلة الذي رمت به القوى السياسية التقليدية الجماهير العربية وحركتها القومية .

وكانت اولى الافكار التي بدأ مؤسس البعث ، الاستاذ ميشيل عفلق ، في بذرها خلال منتصف الثلاثينات ، تحمل هذه السمات كما تحمل الدعوة الى ضرورة اجتياز كل المعارك ضد الاستعمار وكل مخلفاته وتجاوز الحدود القطرية ليتبنى هذه الدعوة كل الشعب العربي من خلال اداة نضاله الذاتية - الحزب - الذي اتى ليجسد في بنيته التنظيمية (القومية العربية) تجاوز الحدود المصطنعة وكل الافكار « القطرية » ، بل كل ما يمكن ان يؤدي اليه القبول العملي بهذا الوضع القائم .

---

(١) راجع : دراسات في الوطن العربي ـ الحركات الثورية والسياسية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، مجموعة من الاساتذة ، جامعة الموصل ، دار الكتب للطباعة والنشر ، العراق . ١٩٧٣، ص ٢ .

إن اتجاه البعث النظري الذي شرع في الظهور ، كان يحمل منذ البدء صفاء في المضامين الاشتراكية . ولم تكن هذه على الاطلاق طرحا مجددا وشكليا لقوانين عامة ، بل كانت عبارة عن ادراك للجدل الفعلي بين الوحدة والحرية والاشتراكية التي يطمح اليها المجتمع العربي والشعب العربي ، وذلك كنتيجة محتمة لمجابهة النفوذ الاستعماري القائم في المنطقة العربية .

لقد ادرك حزب « **البعث العربي** » أن الاستعمار ليس احتلالا عسكريا فحسب ينتهي بالجلاء والاستقلال وانما هو فوق ذلك كله استغلال اقتصادي وربط مصالح البلاد بمصالحه الذاتية وامتيازاته واحتكاراته ، فالاستعمار لا يعتمد في تنفيذ اغراضه على قواه وحدها ، ان له حلفاء من الطائفية والاقطاع والعشائرية والعنصرية والرأسمالية المرتبطة به .

إن الاستعمار ، والرجعية الدينية والقبلية ، والاقطاعية والبرجوازية الرأسمالية الناشئة ، شكلت كلها اذن ومنذ البدء (في وحدتها المعقدة والمتناقضة في حد ذاتها) مجال القوى التي وجه البعث ضدها رؤ يته العامة عن تطور الكفاح الشعبي ، بعد أن ادرك بصورة عميقة جذرية ، الصراع ومستوياته المختلفة . ونجد تأكيدا على ما نقول في كتابات الاستاذ ميشيل عفلق ، عندما يذكر : « إمّا ان نأتي بشيء مبدع خطير يقلب حياة العرب من الذل الى المجد ومن الانحطاط الى الرقي ، واما أن تفشل محاولتنا فشلا تاما . لن نعرف الحل الوسط ، وقديما قلنا في اكثر من مناسبة إن التطور يعني التأخر واننا لا نستطيع ان نعتنق النظرة النسبية ، وأن نقول إن هذا الحزب رغم كل اخطائه ونواقصه هو خير من كل الاحزاب الاخرى . . . اننا نشعر بأن مجتمعنا العربي بحاجة الى ان يغالب نفسه ويناضل نفسه ، بحاجة الى بذل جهد ومشقة كبيرة حتى يسترد ذاته الحقيقية ، حتى يصل بالجهد والمشقة الى أصالته ، حتى يتحرر من الزيف الذي اصابه . ولا يكون التحرر سهلا ولا بدون ثمن . . . ان الآفات التي يشكو منها مجتمعنا ليست بالآفات السهلة ، فالفكر مقيد مستعبد فقير هزيل مقلد ، والشخصية سطحية ضعيفة الثقة بنفسها لا تقوى على الاستقلال ومجابهة الامور بصراحة ، والروح فقيرة وناضبة ، آفاقها محدودة ، وجوها هابط منخفض »(١) .

---

(١) عفلق (الاستاذ ميشيل) ، في سبيل البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧١ ، ص ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ .

ان معنى الثورة القومية التي نادى بها البعث هي ، كما رأينا ، شاملة وعميقة ومتكاملة . لان حقيقة الامة ووجودها ، رغم التجزئة المفروضة عليها ، و « ثقتها » بمستقبلها ، هي التي تشكل كلها العمود الفقري للايديولوجية الناشئة . ويضاف الى هذا كله منظور عملي يقول بمجتمع ديمقراطي موحد ، وبقيام تنظيم موحد في بنيته لا يستند الى أية نظرة طوباوية بل يتحقق من خلال نضال عنيد يجري على الجبهة الاجتماعية كما على الجبهة السياسية ، وتوجهه نوايا واضحة كل الوضوح ، توحد هاتين الجبهتين عن طريق استراتيجية موحدة ، نجد تعبيرا عن تركيبها الجدلي في الكلمات التي اصبحت حاليا شعارا للنضال :

« وحدة – حرية – اشتراكية »

ان اهداف الحركة البعثية وطبيعتها كانت اذن منذ البدء امرا واحداً وبوسعنا ان نلخصه مرة اخرى بكلمات الاستاذ شبلي العيسمي «حزب قومي عربي انساني اشتراكي وحدوي ومن حيث الاسلوب علمي، ديمقراطي، عقيدي، اخلاقي، انقلابي، ثوري، شعبي»(١).

لقد بدأت هذه الافكار الجديدة - كما اسلفنا - في الانتشار خلال منتصف الثلاثينات ، وبخاصة بين الشبيبة المثقفة والطلبة . ولم يكن هذا محض صدفة ، لان الايديولوجية الناشئة انما توجهت اليهم بصورة اساسية ، والى حماستهم . وجه الاستاذ ميشيل عفلق في عام **١٩٣٥** هذه الكلمات : « ان صفحة الضعفاء والنفعيين والجبناء يجب ان تطوى ، وتحل محلها ، صفحة جديدة يخطها الذين يجابهون المعضلات العامة ، ببرودة العقل ولهيب الايمان ، ويجاهرون بافكارهم ولو وقف ضدهم أهل الارض جميعا »(٢) .

وتبدو ثقة الاستاذ ميشيل عفلق بمستمعيه الشباب من ناحية أخرى في تتمة حديثه السابق . فها هو يكتب عنهم قائلا : « لهم صدق الاطفال وصراحتهم وحياتهم لا فرق بين باطنها وظاهرها ، قساة على انفسهم قساة على غيرهم ، لان

---

(١) العيسمي (شبلي) نشأة حزب البعث العربي الاشتراكي في المرحلة التأسيسية ، المكتب الثقافي ، دار الحرية للطباعة والنشر ، مطابع الجمهورية ، بغداد .

(٢) عفلق (الاستاذ ميشيل) ، المرجع نفسه ، ص ٦٧ .

غايتهم الحقيقية لا انفسهم ، واذا تبينوا الحق في مكان انكر من اجله الابن اباه ، وهجر الصديق صديقه »(١) .

لقد تكلمنا عن السمة الاشتراكية التي صبغت منذ البدء الرسالة السياسية العقائدية - المثالية للبعث وكون هذه الرسالة غير « مضطربة » كما يرى بعض « الخبراء »(٢) ، بل تستند الى رؤية علمية صلدة وليس الى حس « الشفقة » ، فهي أمر ظاهر ، على ما نرى ونعتقد ، في ما كتبه الاستاذ ميشيل عفلق في عام ١٩٣٦ :

« ما نظرت الى الاشتراكية في يوم من الايام كواسطة لاشباع الجياع والباس العراة فحسب ، ولا يهمني الجائع لمجرد كونه جائعا بل للممكنات أو الملكات الموجودة فيه ، التي يحول الجوع دون ظهورها » ؛ ثم يضيف قائلا : « ان الذي يظن الاشتراكية دينا للشفقة مخطىء ايما خطأ وما نحن رهبانا نلوذ بالرحمة لنطمئن وجدانا اقلقه مرأى البؤس والشقاء حتى نعظم في عيون انفسنا وننام هادئي البال ، اننا في دفاعا عن الجماهير المحرومة لا نمنحهم صدقة بل نطلب لهم حقا ، ولا يهمنا تخفيف البؤس اذا لم يكن ذلك لزيادة ثروة الحياة»(٣) .

لقد استشهدنا بهذه الكلمات التي كتبها الاستاذ ميشيل عفلق لندلل على أن المضامين العميقة لأيديولوجية البعث كانت واضحة حتى في تلك المرحلة التي تسمى ، على سبيل القول ، بمرحلة « التبشير » بمبادئه ، كما يثّبت التاريخ الدقيق لهذه المرحلة ضمن التاريخ العام لحزب البعث العربي الاشتراكي .

ان ناجي علوش يشير في كتابه « الثورة والجماهير » الى ان فترة « التبشير » هذه امتدت من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٤٥ . يقول علوش في هذا الصدد :

« لقد ظلت مهمة الحزب منذ ١٩٤٢ حتى ١٩٤٥ التبشير في اوساط الطلبة واصدار منشورات باسم منشورات البعث العربي ، وفي سنة ١٩٤٥ وقبل العدوان الفرنسي على مدينة دمشق ، اجتمع اربعة اشخاص هم الاساتذة ميشيل عفلق ، صلاح البيطار ، جلال السيد ، مدحت البيطار ، لاخراج الحركة التي ظلت حتى

---

(١) عفلق (الاستاذ ميشيل) ، المرجع نفسه .
(٢) فالابريغا (جويدو) ، الثورة العربية ، منشورات دللوليو ، ميلانو ، ١٩٦٧ ، ص ٢٠١ .
(٣) عفلق (الاستاذ ميشيل) ، المصدر السابق ، ص ١٤ .

الآن طلابية ، من حيّز الفكرة الى حيز العمل ونتج عن هذا الاجتماع نوع من التنظيم ، وقد صدرت في السنة الثانية جريدة الحزب الاولى « البعث » (١) .

لكن الواقع كان خلاف هذا . فهناك ، كما اشرنا ، سلسلة من الكتابات التي حررها الاستاذ عفلق منذ عام ١٩٣٥ . كما ان الاستاذ عفلق بدأ عام ١٩٣٨ ، كما شهد هو بالذات ، بعمل كثيف قصد من خلاله الى ترجمة تلك المبادىء الى قوة سياسية منظمة . وقد جرى قطف ثمار تلك الجهود في عام ١٩٤٠ عندما انضم اليه عدد كبير من الشبيبة والطلبة .

وقد حتم هذا الامر جهدا سياسيا ضخما ، ذلك كما بوسعنا ان نرى في كلمة للاستاذ شبلي العيسمي الامين العام المساعد للبعث يذكر خلالها فصلا مهما في حياة الحركة البعثية خلال أولى اعوامها فيقول :

« مع بداية عام ١٩٤١ أصدر الحزب ، بل الحزبيون بيانا سياسيا باسم حركة « الاحياء العربي » استنكروا فيه تراجع شكري القوتلي ، ابرز قائد للكتلة الوطنية في سوريا ، وذلك بانهائه إضراباً شعبياً دام شهرا كاملا في المدن السورية ، احتجاجا على سياسة التضييق السياسي والاقتصادي التي اتبعتها السلطات الفرنسية ، وادت الى انخفاض الليرة السورية وشح المواد التموينية ، وبهذا البيان اراد الحزب ان يطرح نفسه على الرأي العام ، وان يعبر باسلوبه الجديد في فهم العمل السياسي ، وهو الصلابة والصمود ، وعدم مهادنة الاستعمار والتراجع امامه » (٢) .

بعد ما قلناه وبعد الاستشهادات التي سقناها ، نرى انه لا مجال للشك في المنطلقات الاساسية او في زمان بدء المسيرة الطويلة والمتشابكة والصعبة التي انطلقت منذ منتصف الثلاثينات وحتى السابع من نيسان ١٩٤٧ - وهو تاريخ أول مؤتمر عقده حزب البعث - لتسير على طريق خلق حركة سياسية ، تكون تركيبا بين النظرية والتطبيق الثوري القومي ، ولتصبح بهذا جوابا دقيقا على حاجات حركة التحرير الحقيقية .

---

(١) علوش (ناجي) ، الثورة والجماهير ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، يناير ، ١٩٧٣ ، ص ٣٦ .

(٢) العيسمي (شبلي) من تاريخ البعث العربي الاشتراكي - المرحلة التأسيسية ، المكتب الثقافي القومي ، بغداد ، طبعة خاصة ، ١٩٧٤ .

• مرحلة تأسيس وبناء حزب البعث العربي من حلول عام ١٩٤٣ وحتى المؤتمر الأول

لا بد من التذكير في الحال انه لا يوجد اي فاصل بين المرحلة السابقة والمرحلة التي سنقبل على تحليلها ، بل هناك بينهما استمرار وتواصل ، حيث أنه كان واضحا امام اوائل البعثيين ضرورة وجود اساس تنظيمي متين لا يمكن بدونه للافكار التي يؤكدونها او بالاحرى للنظرية التي كانوا يصيغونها ، مهما كانت درجة دقتها ، ان تكون كافية في حد ذاتها للمضي قدما بالحركة الثورية ، لا بل انها ستفقد بانعدامه كل القيم العملية .

واذا كان التنظيم الفعلي والتام لم يحصل الا بعد مرور عقد من السنين فهذا لا يعني ان الحركة البعثية بقيت قبل ذلك الحين مكتوفة الايدي او انها قد قللت من قيمة دور التنظيم ، بل ان هذا يعني انه لم يكن من المرغوب به استباق الزمن واختراع حلول مسبقة وعشوائية ومصطنعة وبعيدة عن اية حركة واقعية .

على اية حال ، فقد كان امرا واقعا في اوائل الاربعينات ، ان البعثيين الاوائل - واكثرهم من الطّلبة - بدأوا يطبقون افكار الحركة الثورية ، عن طريق نشر افكارهم وتطوير نقاش واسع حولها ، ومن خلال المشاركة الفعلية ايضا في مظاهرات الاحتجاج الشعبية او في المناسبات القومية البارزة .

ورغم ضآلة عددهم فأنهم تصرفوا بشكل اثار في الحال الانتباه حول وجودهم وحول اطروحاتهم ، وزاد من هذا الانتباه الصراحة التي ميزّت- وكانت امرا جديدا بالنسبة لكل الطبقة السياسية السابقة - نقاشهم وكل سلوكهم .

ولا نقول عبارات انشائية اذا اكدنا انه كان مدهشا بالفعل ان تظهر على المسرح السياسي شبيبة تكلمت بطريقة مخالفة للازدواجية المحنكة والانتهازية الواضحة لدى كثيرين آخرين من السياسيين ، لتظهر حماسة المؤمنين واندفاع الثوريين ولتعمل ، ولتقول انها تعمل ، من اجل مستقبل بعيد وبتفاؤ ل استراتيجي

لا يحمل شيئا من استعجال ديماغوجي للزمن ، بل ان تلك الشبيبة تصرفت في حياتها الخاصة وكأن كل فرد منها يعتبر نفسه وحياته مقياسا يقيس به عظمة الهدف الذي يسعى اليه . وكانت واضحة امام الجميع صعوبة الكفاح الذي خاصه اولئك الشباب ضد الافكار والآراء التي ترسخت خلال السنين ، وضد القوى المعادية للقومية ، من تلك الاقليمية (مثل « الفرعونية » او « الفينيقية » التي تنكر وجود القومية العربية) الى تلك القوى التي تكثر الحديث عن الوحدة ولكنها تنطلق دوما من افكار اقليمية وتبقى ضمن رؤ ية تقبل عمليا بالتجزئة القائمة وبالتأخر(١) .

ان هذه السرعة في انتشار الافكار والمساهمة في معارك كثيرة حادة ، يحملنا على التأكيد بثقة ان للاربعينات اهمية قصوى في مستقبل البعث .

واذا كان من المؤ كد ان ليس بوسعنا التحدث بعد عن سيطرة ما ، فمن المؤ كد ايضا ان المعركة من اجل الحرية ومن اجل ترسيخ الحياة الديمقراطية وتثبيت المبادىء القومية وتنحية الطبقات السائدة والمتمتعة بالامتيازات ، قد وجدت فارسا جديدا لها .

وها هو البعث منهمك في عام ١٩٤١ ، على سبيل المثال ، في تشكيل لجان لمؤ ازرة الانتفاضة ضد الانكليز التي قادها في العراق رشيد عالي الكيلاني . وما زالت مشهورة النداءات التي اطلقها البعث حاثا بها كل العرب وفي كل مكان على الذهاب للنضال جنبا الى جنب مع الثوار العراقيين . وكانت هذه تجربة صعبة واساسية بالنسبة للبعثيين لانها منحتهم الفرصة ليبرهنوا على ان حدود الثورة التي يتحدثون عنها ، لا تتوقف عند القطر السوري ، حيث ولدت الحركة وترعرعت ، بل انها تمتد لتشمل كل الوطن العربي . وكان لثورة رشيد عالي الكيلاني اهمية اخرى بالنسبة لمستقبل البعث ، من حيث ان الجدل الذي اثارته ضمن صفوفه ، قد جرى في لحظة كان القسم الاعظم من الجهود يتجه فيه ضد الفرنسيين واعوانهم الرجعيين الذين يتحكمون بسورية ، بحيث استؤصل ذلك الخطر المحدق ، المتمثل في الوقوع في فخ القطرية ، التي كانت امرا ممكنا من الناحية الموضوعية ، لان بداية التنظيم انذاك كانت قائمة في سورية وحدها تقريبا .

---

(١) نشأة البعث العربي الاشتراكي ـ المرحلة التأسيسية ، المكتب الثقافي القومي ، دار الحرية للطباعة والنشر ، مطابع الجمهورية ، بغداد ، ص ٩ ـ ١٠ .

اما المرحلة الهامة الثانية بالنسبة للبعث العربي - الذي انتشر في مناطق عربية اخرى بعد ان كثر اتباعه وعظمت سمعتهم - فهي مشاركته في الحملة الانتخابية في سوريا ، خلال عام ١٩٤٣ ، والتي تبدت عن طريقة في العمل خاصة بالاحزاب الفعلية ، رغم ان الحزب لم يصغ هذا الحل بصورة رسمية خلال مؤتمره .

بيد انه لا بد ، قبل الكلام عن هذه العملية من التأكيد ان عام ١٩٤٣ كان عام نمو الصراع بين الحركة القومية في مجموعها وبين الاستعمار الفرنسي الذي كان يحتل كلاً من سورية ولبنان . ولم يكتف البعث العربي بتحديد اهدافه وحسب داخل هذه الحركة بل انه اوضح بطريقة افضل ، امام نفسه وامام الآخرين ، دور السياسة اليومية في العلاقة مع الخطة العامة ومنظورها .

إن عنصر الخطة العامة البعيدة المدى يجب الا يناقش البتة ، والا يقل شأنه ، لا في عمل المناضلين ولا في فهم الجماهير ، حتى انه كاد يصبح شعار كل بعثي ترديد كلمات مؤسس البعث : « نحن حملة رسالة لا سياسة » ولا يعني هذا ، التقليل من اهمية الممارسة اليومية ، بل العكس هو الصحيح لأن كرامة ارقى واعلى تمكن من الوصول الى اختيارات وحلول افضل عندما تتحرر من سياسة الامر الواقع ، وتؤطر ضمن استراتيجية متكاملة ومتعددة الابعاد .

وبهذا المعنى يجب ان نقرأ ما كتبه الاستاذ عفلق في كلماته التي سننقلها والتي قالها في عام ١٩٤٣ بالذات عندما اراد الاشارة الى عمق دور الحركة البعثية وسمة الثورة : «فالحرية جوهر العروبة واستقلال الرأي من ابرز صفاتها . . . فالامة الحرة لا تتألف الا من افراد احرار . ان استفحال الامراض التي تفتك بالامة ، وعمق الآلام التي تحز في جسمها لم تعد تنجح فيها حيلة السياسيين مهما كانوا اذكياء بارعين ولا بد لها من مناضلين مؤمنين يستمدون روح نضالهم واسلوبه من روح امتهم واخلاقها ، فالسياسة التي سادت حتى اليوم ، فانها بانحراف خططها وضعف عقيدتها وخطأ تفكيرها وسطحية تنظيمها ، كفيلة لهدم دولة قوية ، فكيف بأمة محكومة ما تزال ببدء استيقاظها ، فنحن في تمردنا على هذه السياسة نعرف اننا نفصح عن ألم اكثرية الشعب ، وبدعوتنا الى اسلوب جديد يقوم على الايمان العميق والفكر الواضح والتنظيم الحي ، نعرف اننا نلبي امنية مجموع الشعب ونحقق ارادته العميقة .

عملنا نضالي طويل يستهدف المستقبل البعيد ، لذلك نعنى بالحاضر اشد العناية ، تمهيدا لذلك المستقبل ، فالمسائل السياسية التي تعرض اليوم ، من خارجية

وداخلية ، وخاصة ما يتعلق بتحقيق الوحدة بين الاقطار العربية ، كل هذا نهتم به ونقدر خطورته ونقيسه بمقياس فكرتنا الاساسية ، « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » (١) .

بهذه المنطلقات شارك حزب البعث العربي اذن في الانتخابات التي جرت في سوريا خلال عام ١٩٤٣ (بعد موافقة سلطات الاحتلال الفرنسية التي كانت قد اعادت العمل بدستور عام ١٩٢٨) والتي تمخضت عن فوز الكتلة الوطنية وانتخاب شكري القوتلي رئيسا للجمهورية : فالغاية لم تكن الحصول على نواب في البرلمان ، بمقدار ما كانت استغلال فرصة الحملة الانتخابية من أجل كشف الاقنعة عن الطبقة الحاكمة وعن المتعاونين مع الاستعمار من جهة ، ومن اجل الظهور - من جهة اخرى - كحزب لا يركز دعايته ونشاطه من اجل الوصول الى كراسي الحكم (في ذلك الوضع) ، بل يريد استنفار الجماهير والنضال الشعبي الذي لا بد منه في تلك المرحلة التاريخية لبلوغ الهدف القومي السامي - المتحرر ، الموحد والاشتراكي - والتصدي لكل القوى الاستعمارية وحلفائها المحليين والعالميين .

ما ان انتهت الانتخابات حتى انهالت موجة قمعية همجية على مناضلي الحزب : فاقتيد زعماؤه ومؤسسوه الى العذاب والمطاردة وكان ان عملت هذه التجارب المؤلمة ، التي لم تفتّ من عضد الحزب ولم تقلل من عزيمته ، على تأكيد تحليله حول طبيعة القوى الموجودة وحول جذرية الدعوة الجازمة الى النضال .

ولم يكن الاختيار سهلا ولا قليل الاهمية ، خاصة اذا ما أخذنا بعين الاعتبار تشابك الوضع القائم في تلك السنين . فاذا كان حقا ، ان عوامل توضيح كثيرة قد حلت (ومنها توضيح وظهور التحالف في السلطة بين الاستعمار الانكلو - فرنسي والاقطاعية والبرجوازية المحلية التجارية من جهة ، وانتظام حركة الجماهير وتجذرها من جهة اخرى) فانه حق ايضا ان انفجار الحرب العالمية الثانية أدخل عناصر جديدة من التناقض في العلاقات بين المعسكرات التي حتمت الحرب وجودها .

ولا يفوتنا ان كثيرا من الالتباس قد احاط بهذه المعسكرات ، فالقوى التي استعمرت الوطن العربي وحرمته من الحرية ومن اي تطور ديمقراطي تحولت (على

---

(١) نضال البعث، القطر السوري، دار الطليعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢، الجزء الاول، ص ٢٨-٢٩ .

الصعيدين الاوروبي والعالمي) لتصبح وكأنها حامية الحرية والديمقراطية بعد أن دخلت في حرب مع معسكر المحور الرجعي والفاشي الذي قام بدعاية مركزة ضد بريطانيا في الاقطار العربية .

لكن البعث الذي كان يعي أنه لا يمكن لنشاطه (الذي ما زال محصورا حتى ذلك الحين ضمن نطاق سورية) ، الا ان يملك بعداً عربيا ومحتويات اجتماعية تضمن بناء الوحدة بناءً ذاتيا ، رفض هذا البعث ، توكيل أية قوة اخرى بالقيام بهذه الواجبات كما رفض أي تكتيك منحرف واختار ألا يكون حزبا سياسيا بالمعنى التقليدي بل « حركة تاريخية » بالفعل ، لها طريقها الخاص بها (بصورة موضوعية) وبمطامح الجماهير الشعبية العربية .

وبهذا المعنى علينا ان نقرأ ونفسر ما اعلنه البعث في عام **١٩٤٣** ليقدم وصفا لنفسه ولسمة اطروحاته الاستراتيجية حين يقول :

١ - نحن نمثل التاريخ العربي الحي ضد الرجعية الميتة والتقدم المصطنع .
٢ - نمثل القومية العربية التامة المعبرة عن حاصل الشخصية .
٣ - نحن ضد القومية اللفظية التي لا تتعدى اللسان ويناقضها مجموع السلوك .
٤ - نحن نمثل رسالة العروبة ضد حرفة السياسة .
٥ - نمثل الجيل العربي الجديد » (١) .

وهكذا فإن جوهر الطريق الذي اختاره البعث عام **١٩٤٣** لا يظهر (كما اراد ان يفعل ، تسرعا او عن سوء نية ، بعضٍ « النقاد ») انحيازاً مزعوماً الى جانب سياسة فاشي ونازيّ المحور ، بل عملاً بالضرورة الموضوعية والذاتية التي شعر بموجبها ، ان عليه تبني المطامح والاهداف الحقيقية للجماهير وللطبقات الفقيرة العربية ، وبتبنّي مصالحها ووجهات نظرها بعيدا عن المعسكرات المزدوجة الصفات ، وعن المؤامرات التي تحتمت بفعل الحرب الدائرة بين الامبرياليين ، والتي لا يمكن ان تنسي العرب لا الاستعمار الذي يجثم فوق صدورهم : استعمار الانكليز والفرنسيين ، ولا الكفاح الضروري ضد تسلطهم من أجل الحصول اخيرا على استقلال حقيقي ، بحيث لا يجري استبدال هذا الاستعمار بإستعمار آخر كما حدث بعد العثمانيين .

---

(١) نضال البعث، المرجع السابق، ص ٢٧ .

وهاكم الآن تفسيراً لضرورة وجود استراتيجية نضال مستقل واضح وجذري . يقول الاستاذ ميشيل عفلق في هذا الصدد :

« فنحن بالنسبة لحالتنا لا نستطيع الا أن نكون انقلابيين نفكر تفكيراً انقلابيا ، لان في ذلك وحده محاولة لمداواة المرض وايقافه عند حده ومحاولة لتغيير كل الجسم المريض وهزه هزا عنيفا حتى تتكون لديه حالة جديدة يظفر بها على الارض »(١) .

ان أحدا لا يتوهم اذن ، انه من السهل عبور هذا الطريق و أنه بالامكان حرق المراحل ، وكان الاستاذ عفلق واضحا حتى في هذا المجال عندما قال :

« مهمتنا شق الطريق للجيل الجديد لا تعبيدها ، رفع الاشواك لا زرع الرياحين ، غرس البذور الخالدة لا قطف الثمار اليانعة ، لذلك لن ندخل الحكم عاجلا ، وفي صف النضال سنبقى طويلا »(٢) .

لكنه كان مختلفا جدا موقف الاحزاب السياسية الأخرى في هذه المرحلة . فالحزبان الشيوعيان السوري واللبناني كيّفا سياساتهما انطلاقا من اطار التحالفات الدولية التي تمت بموجب الحرب ، فقد كان منطقيا بالنسبة لهما التحالف حالا ضد المانيا النازية وايطاليا الفاشية .

على أية حال فإن طبيعة الخلاف لا تكمن هنا ، بل في ان تلك الاحزاب اتخذت التناقضات الدولية مجالا لعملها ، وتجاهلت التناقض بين المسيطرين وبين المستعمرين المغلوبين على امرهم ، وهكذا فان الحزب الشيوعي استمد بصورة آلية (ميكانيكية) من العداء للفاشية - النازية سياسته التي بدا أن بوسعه التعاون بموجبها مع سلطات الاحتلال الفرنسي ، مواصلا بهذا ، رغم اختلاف الظروف كليا ، حتى على صعيد الوضع الفرنسي الداخلي، العمل بالاتجاه الذي رأيناه يقبل خلاله ، وبحماسة بارزة في عام ١٩٣٦ ، الاقتراح الداعي الى ضم سورية الى فرنسا ، والذي صدر عن « جبهة ليون بلوم الشعبية » . وكان الشيوعيّون يأخذون على البعث عداءه لهذا الاتجاه ، مؤكدين ان كثيراً من الاختلافات بينهما انما انطلقت

---

(١) عفلق (الاستاذ ميشيل) ، في سبيل البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧١ ، ص ١٤٨ .

(٢) نضال البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، كانون الاول ، ١٩٧٢ ، الجزء الاول ، ص ٢١ .

من هذه النقطة بالذات . بيد انه بوسعنا ان نؤكد ، بكل هدوء ، أن الشيوعيين عندما نهجوا هذا النهج المعادي بوضوح للقومية الثورية ، لم يبتعدوا عن البعث وحسب ، بل عن الحركة الثورية بالذات وعن تطلعات أغلبية الشعب .

اما في ما يتعلق بالحزب القومي الاجتماعي السوري فقد ظهرت ، خلال هذه السنوات بالذات ، طبيعته الاساسية المتسمة بالرجعية . واذا كان قد استوعب في عمله التناقض الاساسي الذي يفصل بين المسيطرين والمستعمرين فهو قد تجاهل ان المحتوى الحقيقي لهذا التناقض انما يكمن بين القمع الذي تمارسه جميع قوى الاحتلال (الداخلية والخارجية) وبين مقتضيات الحرية القومية والتحرر الاجتماعي الذي تطالب به الجماهير . والنتيجة الاولى لهذا التجاهل هي ان هذا الحزب رسا في مرفأ الفاشية ، حين تنكر لتلك المطامح الشعبية .

كذلك فإن سلوك الاخوان المسلمين كان متلائما في هذه الفترة مع ايديولوجيتهم الرجعية والمحافظة . فهم عندما رفضوا القومية العربية بكل امكانياتها لينغلقوا في رؤية متعصبة للاسلام ذات ابعاد شوفينية ، اصبحوا مجرد قوة محافظة تعتيمية يسهل استغلالها من قبل المستعمرين لتوجيهها ضد الثورة .

ضمن هذا الاطار نرى ان ما اختاره حزب البعث في عام ١٩٤٣ من ان يكون قوة تتجاوز اخطاء الآخرين وتطرح بعنف وبدون تصنّع اشعال ثورة تهدف للتحرير ولتحقيق الوحدة القومية وتتصف بالسمة الاشتراكية ، نرى ان هذا كله جعل من الحزب تحدياً واضحاً ضد الاستعمار والاقليمية والقبلية والعنصرية والشوفينية والنازية - الفاشية ، وضد التجريبية والدوغماتية الستالينية ، وقد كان ذلك الاختيار هو الحل الوحيد الممكن تقديمه حقا لتلبية المطالب التجديدية الملحة المعبرة عن طموح الجماهير الشعبية العربية وان القوى التي حصلها البعث خلال السنين المقبلة ، تبدو عسيرة على الفهم ان نحن نسينا او قللنا من اهمية المجد الذي اضفاه تبني هذا الاختيار على حزب البعث . ونرى ان الاستاذ شبلي العيسمي على حق عندما يقول : « اما حركة البعث العربي الاشتراكي فقد كانت الحركة الوحيدة التي استطاعت منذ نشأتها ان تعبر ببساطة وعمق عن حاجات الامة العربية ، في هذه المرحلة التاريخية بتركيزها اهداف الثورة في الوحدة والحرية والاشتراكية واعتبارها هذه الاهداف الثلاثة كلا موحدا مترابطا ، وفي اعتقادي ان قضية الترابط هذه ، واكاد أقول نظرية الترابط ، تشكل على بساطتها الميزة الاساسية لحركة البعث ، فسرّ القوة في ايديولوجيته بالاضافة الى تحديدها سبل الوصول اليها بالطريق الثوري

والنضال الجماهيري والاسلوب الاخلاقي الـذي يلتزم جـانب الصدق والحقيقـة ومصارحة الشعب » (١) .

لقد اطلنا في صدد معنى اختيار البعث هذا ، لان الادراك الحقيقي لكوننا نتحدث عن حركة عربية (وان حاجات الشعب العربي الحقيقية هي التي تملي عليها اعمالها حتى ما يدخل منها ضمن اطار الصلة التي تربط من النـاحية المثـالية كـل الثورات المعادية للاستعمار في العالم قاطبة) هو الذي يتيح للباحث الجاد وللمؤرخ الجاد وللسياسي الشريف ان يفهموا الاتجاه الذي انتحاه البعث خلال اعوام الحرب العالمية من غير ان يلجأوا البتة الى مقارنات عشوائية بين هذا الاتجاه وبين المقتضيات الاستراتيجية العسكرية لقـوى المحور . ففي مـركز اتجـاه العمل هـذا ، انصبّ النضال ، من جهة معينة ، ضد الكتلة الاجتماعية السائدة (الاقطاعية والبرجوازية التجارية) ، ومن جهة اخرى ضد كل المتعاونين مع القوى الاستعمارية الموجودة في المنطقة . وقد نتج عن هذا ايضا ، رفض لسياسة ما يسمى بـ « قوى المحور » لذلك فإن المعركة التي خاضها البعث ، في الساحات خلال سنتي الحرب الاخيرتـين ، كانت تجري كلها ضمن هذا الاتجاه . اما النقاط التي تتضح فيهـا محتويـات هذا النضال فهي :

١ ـ المطالبة بحق الجماهير الشعبية في حرية التعبير .

٢ ـ الوصول الى استقلال سياسي فعلي ضمن اطار الوحدة العربية .

٣ ـ تحديد سلطات شكري القوتلي وفضح استغلاله للسلطة بشكل تجاوز الحدود الدستورية وجعل من حكمه ديكتاتورية مفضوحة .

٤ ـ تحرير الجيش من علاقته بالمستعمرين وتحويله الى جيش وطني .

٥ ـ العمل الجماهيري ضد الاستعمار الفرنسي في كل من سورية ولبنان ، والذي لعب البعث ضمنه دورا اساسيا حين تشكيل مراكز المقاومة المسلحة (جماعات الكفاح القومي) (٢) .

٦ ـ التعرية المستمرة للمشاريع الاستعمارية وللمؤامرات التي لا تصدر عن

---

(١) العيسمي (شبلي) ، في الثورة العربية ، المؤسسة العربيه للدراسات والنشر ، طبعة ثالثة ، ١٩٧١ ، ص ١٩ .

(٢) نضال البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعـة الثالثـة ، ١٩٧٢ ، الجزء الاول ، ص ٣٢-٣٣

فرنسا وبريطانيا العظمى وحسب ، بل عن الولايات المتحدة الاميركية ايضا ، والتي فضح البعث دعمها للهجرة الصهيونية الى فلسطين(١) .

الى جانب معارك الشوارع التي خاضها البعث في سورية ، بدأ هـذا يحدد اهدافه المرحلية بشعارات شديدة الوضوح تطالب بتشكيل حكومة في القطر السوري يكون نشاطها على مستوى المرحلة :

أ ـ فعلى الصعيد العام ، دعا البعث الى تشكيل حكومة قادرة بالفعل على ان تكون مستقلة عن الاستعمار ، حكومة تحترم الدستور ، وتتخذ اتجاها يتسم بالصراحة والوضوح ويبتعد عن اي تصنع ، ولا تكون متناقضة مع حاجات الجماهير ، بل تقدم امكانيات عملية تسهل المراقبة الشعبية على اختياراتها .

ب ـ وعلى صعيد البرنامج عيّن البعث اتجاهات اساسية تتعلق بعمل الحكومة ومنها :

ـ رفض كل تحالف مع فرنسا ، لا بل المطالبة بسحب كل فصائلها من سورية وبقطع كل علاقة سياسية واقتصادية وثقافية معها . ونفس الامر يقال بالنسبة لبريطانيا العظمى التي لا بد من مطالبتها ايضا بالحفاظ على وعدها الذي قطعته بسحب قواتها من كل من سورية ولبنان .

ـ المحافظة على استقلال سورية التام ، وانتزاع هذا الاستقلال عن طريق استنفار جميع جهود الشعب ومنظمات المقاومة . ويتوقف نجاح هذا الهدف ، في جانب كبير منه ، على تشكيل جيش سوري متأهب وجيد التسليح ، يكون قادرا على صد أي اعتداء فرنسي قد يقع ، وعلى مجابهة اي قرار دولي يحول دون استقلال سورية .

ـ تنمية سياسة فعلية يكون لها طابع عربي ، وتهدف الى تأمين معونات عسكرية في حال حدوث اعتداء اجنبي على سورية ولبنان .

ـ المطالبة بان تحاكم الحكومة الفرنسية المسؤولين عن الاعتداء الفرنسي الذي

---

(١) المرجع السابق .

وقع على دمشق في ايار ١٩٤٥(٩) ، وبأن يعوّض الفرنسيون سوريا عن الاضرار الواقعة بسبب تجميد ومصادرة جميع رؤوس اموالهم في كل البلدان العربية .

ـ اخيرا تطهير كل جهاز الدولة بطرد كل الخونة واعوان قوى الاحتلال منه . وتتم هذه العملية بمحاكمة قواد الجيش والجنود المتهمين بالخيانة ومكافأة من استجاب منهم لنداءات الحركة الوطنية ، مكافأة تليق ببسالتهم وتضحياتهم .

لقد زادت احداث ايار الرهيبة ، التي اشرنا اليها ، من حدة نضال البعث وجذريته ، بينما وجهت نحوه في نفس الوقت انتباه جماهير متزايدة من الشبيبة التي رأت في تلك الاحداث برهانا على صحة اطروحات الحزب وتحليله للموقف . هذا مما عمل على امتداد الحزب من منطقة دمشق ، التي كان وجوده فيها قويا ، الى بقية المناطق مثل حمص وحماة واللاذقية وحلب ، حيث انتشر الحزب بسرعة متزايدة خلال عام ١٩٤٥ . بينما كان الاطار القيادي للحزب ، اي « القيادة العليا » ، يتألف ، فضلا عن مؤسسه الاستاذ ميشيل عفلق ، من كل من صلاح البيطار ، مدحت البيطار ، وانضم اليهم فيما بعد جلال السيد (١) .

ورغم ان وجود البعث اصبح امرا مسلما به ، ورغم ان تأثيره في الحياة السياسية السورية اصبح أمرا بعيدا عن الشك ، فإن الحزب كان مضطرا للعمل السري لان السلطات السورية (وهو امر ذو مغزى) كانت تمنعه من العمل العلني في ظل قانونها . وكان هذا هو الجواب التعسفي (ولم يكن من المستطاع ايجاد جواب مختلف ، وسمات نظام القوتلي على ما كانت عليه) على الاطروحات الديمقراطية التي كان البعث يركّز عليها في تلك السنوات داعيا من خلالها الى ايجاد نظام دستوري قائم على الاعتراف بالحريّات العامة (٢) .

اما الانتباه الخاص الذي كان البعث العربي يوليه في تلك الاعوام الى احداث

---

(١) نضال البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ ، الجزء الأول ، ص ٦٩ . . . انظر ايضا : فالابريغا في كتابه «الثورة العربية» ، ص ١١٩ ، حيث يقول : «ما بين ٢٥ و ٣٠ مايو ١٩٤٥ ، ثار السوريون ضد الفرنسيين فردّ الفرنسيون بقصف بربري لدمشق ، قتل ثمانين من الحرس المدني واربعمائة مواطن ، وجرح الفا وخمسمائة آخرين .

(٢) نضال البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ ، الجزء الاول ، ص ٧٠ .

(٣) المرجع السابق، ص ٧٣ـ٧٩ .

سورية فيفسر - كما اسلفنا - في رجحان كفة العناصر « السورية » داخل تنظيمنا الجنيني لكن هذا لا يعني البتة اي انتقاص من انتباهه نحو المشاكل « العربية » بصورة عامة . ويدل على هذا كون النشاط المبذول في سورية يحمل نفسا قوميا ، كما حاولنا ان نوضح آنفا . وتدل عليه اشارات النضال « العربية » بصورة بحتة ، والتي لم تكن ثانوية البتة ، في العمل السياسي الذي قام به البعث خلال الاعوام ١٩٤٤ - ١٩٤٦ .

وكانت في الواقع ابنة تلك السنوات المواقف التي عكست ضرورة ايجاد تنسيق في النضال الشعبي الجاري في مختلف الاقطار ، ضد قوى الاستعمار والاحتلال . تنسيق يجب ان يبحث ، كما اشار البعث ، عن صلات على نطاق اوسع خارج الوطن العربي ، وفي تلك الحركات وتلك الدول التي تعترف بحقوق الشعب العربي وبكرامته وبضرورة استقلاله (١) .

في معنى الوحدة النضالية هذا ، تبدو اذن ، ملامح المجتمع الموحد الجديد ، المفهوم على انه عملية بناء متواصلة يقوم بها البطل الوحيد الذي يملك المقومات اللازمة لذلك ، الا وهو الشعب العربي .

وكل ما يتحرك خارج هذا المنظور هو منحرف وديماغوجي وغير ملائم ، حتى لو بدا انه يسير في اتجاه وحدوي .

من الناحية العملية ، وجدت هذه المنطلقات العامة تطبيقها الفعلي في الحكم القاسي الذي اصدره البعث بحق جامعة الدول العربية (٢) . وذلك في نيسان ١٩٤٥ ، وغداة تأسيسها بالذات قائلا « ظهرت في ظروف صعبة وفي ملابسات خاصة بعد تصريح لوزير خارجية بريطانيا . . . وانها لا تفصح عن الامة العربية في حقيقتها . . . الا انها مؤلفة من ممثلي الحكومات الرسمية»(٣) .

---

(١) المرجع السابق ، ٨٣ -٨٩ .

(٢) تأسست الجامعة العربية في القاهرة في ٢٢ مارس ١٩٤٥ ، من كل من : مصر ، العراق ، العربية السعودية ، سوريا ، لبنان ، الاردن ، ثم انضمت المملكة المتوكلية اليمنية . وكان الهدف من تأسيسها ، كما عرف آنذاك ، التنسيق بين سياسة الدول الاعضاء والمحافظة على سيادتها واستقلالها ، والمعالجة العامة لقضايا ومصالح البلدان العربية .

(٣) نضال البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ ، الجزء الاول ، ص ٨٣ .

وقد اكد البعث بعدها نظرته للامر مرة اخرى ، في كانون الأول من نفس العام ، مبرزاً ان الجامعة الوحيدة التي يرى عن حق ضرورتها والتي لا بد من انشائها بالفعل هي الجامعة الشعبية العربية التي تعبر بصورة مباشرةعن مصالح الشعب العربي وعن الاهداف القومية التي يناضل من اجلها في كل اقطاره حيث يقول : «لذلك نعتقد ان ثمة ضرورة حيوية ماسة بالنسبةالى الشعب العربي بتأليف جامعةعربية شعبية الى جانب جامعةالدول الرسمية تكون مفصحا صادقا عن مصلحةالشعب واهدافه القومية في سائر الاقطار وموجها قوميا له يحميه من اضرار التأثر بأية سياسةاجنبية او الخضوع لضغطها، كما ينقذه من مساوىء السياسة الاقليمية وانانيةالحكومات والاشخاص، فيستبق خط الاتحاد الرخو البطيء ، ويمهد للوحدة التامة ووحدته الشاملة ونهضته الواسعة أنسب جو، لازدهار هذا النضال وارحب مجال لتطبيقه» (١) .

وقدشكل الحكم على الجامعة العربية وما تبعه من تبين دلائل الوحدة ، التي يجب بناؤ ها في قلب النضال القومي وبين جماهير الاقطار العربية ، وليس في قمم الحكومات ، شكل هذا الحكم التعبير السياسي المنطقي عن الحركةالتي يؤ من البعث بها . وقد دل البعث ، من خلال ايمانه بهذه الحركة الواقعية ، على خطوات اولى تتحقق في تلك السنوات ، ومثالا على ذلك طرح البعث هدفا طلب تحقيقه في الحال، كخطوة نحو الوحدة الكبرى، الا وهو هدف الوحدة بين سوريا والعراق اللذين رأينا ان النضال فيهما كان قويا في سبيل الهدف الكبير. كما طرح ايضا شعار تقوية المعركة في كل الاقطار العربية من اجل الحفاظ على عروبة فلسطين ذلك بعد ما تحقق وعد بلفور، وبعد ان نمت الحركة الصهيونية التي برهن البعث على انها حركة قمعية وعنصرية . ولن تكون قليلة النفع الاشارة في هذا الصدد الى الاضراب الذي دعا اليه البعث في ايار ١٩٤٦، للاحتجاج على السماح، بهجرة ١٠٠ر٠٠٠ يهودي الى فلسطين. وكان شعار هذا الاضراب المركزي «الكفاح من اجل فلسطين هو اول برهان على استقلال سورية» .

ان ما ذكرناه حتى الآن يخولنا ان نخصص ونذكر السمات الاساسية التي ميزت هذه المرحلة من حياة البعث والتي سميناها بمرحلة « التأسيس » .

---

(١) المرجع السابق، ص ٨٩ .

١ - فهناك اولا اكتساب فعلي لهوية الحزب التي تميزت عن هويات بقية الاحزاب من حيث ان البعث (هو تركيب نظري بين الافكار وتطبيقها) افلح في ربط ماضي الامة العربية بحاضرها ضمن منظور المستقبل ، اي أنه انطلق من اطار واقع موضوعي ولم ينطلق من رؤى مجردة او جزئية .

٢ - وهناك في الدرجة الثانية ترجمة حية لاكتساب الهوية هذه ، ولما لحق الحزب من نشوء مطامح ملائمة ظهرت في الاستراتيجية العامة البعيدة المدى . وهو إذ عبر عن فهمه للثورة على انها ثورة من اجل الوحدة والحرية والاشتراكية معا ، إنما ربط بصورة جدلية (اي بحركة متبادلة من الافعال وردود الافعال) لحظة الصراع الطبقي مع لحظة الكفاح ، من اجل التحرير القومي ضد قوى الاستعمار والامبريالية .

٣ - وهناك في الدرجة الثالثة الاشارة الى الكفاح الشعبي المسلح على انه طريقة عمل من اجل الوصول الى تحرير فعلي للانسان ولارضه .

وهكذا بوسعنا ان نؤكد ان هذه الافكار التي كانت منسجمة كل الانسجام مع مقتضيات التحرير التي نضجت في هذا القرن في جميع انحاء العالم (وليس في البلدان الواقعة تحت ظل الاستعمار فقط) والتي تبنى البعث شرف ملاءمتها مع الوضع العربي ، انما كانت تحتوي على ابعاد عالمية بالفعل ، بل كانت تملك كل المقومات التي تستطيع اقحامها داخل الجدل القوي والحاد الذي انهمكت باقامته القوى التقدمية في انحاء العالم .

واذا ما تركنا تأكيدنا هذا جانبا ، نجد ان البعث بالذات قد رفض ، بوضوح ومنذ مرحلة تأسيسه الاولى ، كل انعزال يتم تحت شعار « الخصوصية » العربية معلنا مرات عديدة ان الثورة العربية هي جزء لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية في العالم بأسره ، وأن الثورة في البلدان التي تمر في ظروف مشابهة لظروف الوطن العربي لا يمكنها ان تتجاهل او ان تقلل من قيمة العلاقة التي وضعها البعث في قلب منطلقاته . وقد أجاب الدكتور الياس فرح ، وهو أحد قادة البعث ، على التشويهات التي عملها قادة اليمين السياسي ، واليسارغير القومي ، في اتجاه البعث فقال : « (فاليسار اللاقومي) كان ينظر الى القومية على انها مرحلة تجاوزتها الفكرة الاشتراكية وانها تراكم تأثيرات متخلفة تشكل عقبة في طريق الوعي الطبقي وفي طريق النزعة التحررية الانسانية ، كما كان ينظر الى التجزئة العربية المعاصرة على ضوء ما سمي التجارب القومية في الغرب ، فيجردها من سياقها التاريخي ويبتعد باسم الماركسية

عن فهم الواقع العربي فهما جدليا علميا ، فيسيء بذلك الى الفكرة العربية الثورية بقدر اساءته الى الماركسية ـ اللينينية ذاتها ، كما ان (اليمين اللاقومي) كان ينظر بدوره الى القومية العربية على انها بدعة مستخدمة مستوردة من الافكار الغربية ويتهمها بالتخلي عن الماضي والمروق عن الدين والالحاد، الى غير ذلك من النعوت التي تصطنع التناقض والتنابذ بين الفكرة القومية والدين دون فهم عميق لجوهر كل منهما ودون وعي للابعاد الانسانية للمفهوم القومي الاشتراكي الجديد . لذلك جاء تأكيد ايديولوجية الثورة العربية على اهمية الظاهرة القومية وعلى طابعها الانساني العلماني، بمثابة بناء فكري جديد يكشف حقيقة السياق التاريخي للتجربة القومية المعاصرة . وبمثابة ربط القضية القومية بقضايا العالم الراهن . وبكلمة واحدة جاءت الايديولوجية العربية الثورية لتلغي نوعين من الانحراف :

١ ـ الرجعية التي تمثل انحراف الجمود والتخلف .

٢ ـ التقدمية الزائفة واليسارية القطرية و (اللاقومية) التي تمثل انحراف التقدم السطحي المعزول والمتنكر احيانا للحقيقة القومية ، والمتجاهل للصراع القومي للامة العربية .

وأكدت الايديولوجية العربية الثورية في جوابها على التيارين اللاقوميين على نقطتين اساسيتين :

١ ـ فكرة الديمومة والاصالة من جهة .
٢ ـ فكرة الصيرورة والانفتاح من جهة اخرى (١) .

بوسعنا ان نؤكد بعيدا عن اي شك اذن ، ان انتصار العلمانية من جهة ، ورفض البعث لكل رومنطيقية ولكل الافكار العنصرية والشوفينية من جهة اخرى ، قد جاءا ليدحضا كل تهمة بالتجريبية وبالانعزالية وليثبتا ان البعث العربي كان قادرا منذ مرحلة نشوئه على تجاوز الاتجاهين المنحرفين اللذين اشار اليهما الياس فرح ، وذلك بعد ان زرع البعث في تربة الواقع العربي الحية وتناقضاته الواقعية جذور مشروع ثوري ، بوسعه ان ينقض ، بصورة عملية ، على تلك التناقضات

---

(١) فرح (الدكتور الياس) ، تطور الايديولوجية العربية الثورية ، (الفكر القومي) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، طبعة ثانية ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

ليظهر بهذا عملية متواصلة يكون محركها الدائم وحدة النضال بين الجماهير العاملة ، ولا يقتصر نطاقها على الاطار العربي بل ينطلق من هذا الاطار ليمتد بمعانيه الى اطار التجربة الثورية العالمية .

واخيرا نقول ان البعث قد عاش الثورة العربية - كما يقول الاستاذ ميشيل عفلق - بمعنى انها « تجربة حية لا يمكن إن يعي العقل وحده كل معانيها » . واذا ما نقلنا ما قاله الدكتور الياس فرح فإن معنى الثورة هذا ليس نظرية مجردة ، بل هو تعبير فكري وعلمي عن الحركة التاريخية العربية المعاصرة ، تعبير صادق عن الحاجة الى وحدة الامة العربية ، ورفض الطوباويات الاصلاحية التي تجرد الامور عن موضوعيتها او تخضع تلك الامور لضغط القبول بقوة الاشياء .

وقد افتتح البعث مستعينا بهذه الثورة النظرية التي دعمتها خبرات النضال الثوري ، مؤتمره التأسيسي ، وهو على كامل اقتناع بأنه يمثل ، رغم ضآلة قواه النسبية ، مصالح الطبقة العاملة وكل الشعب العربي . ومدركا انه يشكل تحديا للحكومات التي ربطت وجودها ببقاء وضع التجزئة والتأخر في الامة العربية .

● المؤتمر « التأسيسي » الأول

سبق وذكرنا ان مرور فترة طويلة بين بداية التكوين الاول للبعث العربي وظهوره كحزب منظم ، لا يمكن ان يفسر بأنه تقليل من قيمة الدور التنظيمي ، بل كان ضرورة فرضتها جملة من العوامل الموضوعية ، تقول بعدم خلق اشكال عشوائية ، لا تملك اساسا ايديولوجيا ونظريا متجسدا في الممارسة النضالية . وفي الواقع ، فإن مؤسسي الحزب كتبوا ، منذ بدء نشاطهم ، عن أهمية اللحظة التنظيمية بل وعن جوهريتها بالنسبة للعمل النضالي ، وأوضحوا انه لا يمكن القيام بدون التنظيم بأي عمل بين الجماهير ، كما لا يمكن توخي قيادتها نحو تحقيق الهدف .

وكانت هذه الكتابات شديدة الوضوح ، حتى ما تعلق منها بنوع التنظيم الذي يحتاجه البعث . فالحزب الذي يحمل فكرة قومية يحتاج الى تنظيم قومي ، اي الى تنظيم يمتد الى جميع الاقطار العربية بشكل يتمكن معه الحزب من تجاوز الاحزاب الاخرى التي تترجم في بنيتها التنظيمية ، الحدود القطرية ، لسياستها ، ولا يمكن الا

لمنظمة من هذا النوع ، قادرة على نشر البعث خارج حدود القطر الذي ولد فيه(١) .

ان السمة الجوهرية التي تميز البعث اذن عن بقية الاحزاب ، وعلى صعيد الموضوع الذي نحن بصدده ، تكمن في طموح البعث نحو نشر تنظيمه في عموم الاقطار العربية ، حتى يبلغ كل قرية من قراها . وكانت هذه السمة قد توضحت حتى عندما كان تنظيم البعث مقتصرا على سورية ، وخاصة في دمشق بادىء ذي بدء . ذلك أن عددا غير قليل من اعضائه كانوا من الطلبة العرب القادمين من مختلف الاقطار ليواصلوا دراستهم في المدارس السورية . وكانوا في حقيقة الامر هم الذين حملوا صوت البعث الى بقاع الوطن العربي كافة عندما عادوا الى اقطارهم . وكانوا بصورة عامة اعضاء من هذا النوع ، اولئك الذين اجتمعوا بين ٤ ـ ٧ نيسان ١٩٤٧ في صالة مقهى « الرشيد الصيفي » في دمشق ليناقشوا تحويل الحركة البعثية الى حزب قائم بذاته . وقد سمي هذا الاجتماع في الحال « المؤتمر التأسيسي لحزب البعث العربي » .

واعترف به رسميا فيما بعد على انه أول مؤتمر قومي يعقده حزب البعث العربي الاشتراكي .

وقد نوقش خلال هذا الاجتماع تقرير سياسي تام التفصيل ، عالج الوضع في سورية وفي الوطن العربي ، وقد شكل الى جانب ما تم من نقاش حوله ، أول وثيقة رسمية تعبر عن اتجاه الحزب الجديد .

وقبل ان ندخل في صدد هذا الاتجاه ، يحسن بنا ان نذكر باختصار فصلا اساسيا بالغ الاهمية جرى في ذلك المؤتمر ، اي الموافقة على دستور الحزب . وبما ان هذا الدستور يشكل وثيقة ذات اهمية قصوى فقد آثرنا نقله كاملا في ملحقات هذا البحث . بينما سنقتصر الآن على القول انه يحتوي على زبدة نظرية البعث : فهو يحدد ، نقطة اثر نقطة ، وبدقة بالغة ، المبادىء الرئيسية التي اكتسبها الحزب الجديد خلال مرحلة النشوء الطويلة . وكان على كل عضو من اعضاء البعث ان يقيس ، من الآن فصاعدا ، على هذه الوثيقة ، عمق قناعاته السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والخلقية (١) .

---

(١) العيسمي (شبلي)، نشأة البعث العربي الاشتراكي، المرحلة التأسيسية، المكتب الثقافي القومي ـ دار الحرية للطباعة والنشر ـ مطابع الجمهورية، بغداد.

(٢) نضال البعث ، ١٩٤٣ ـ ١٩٧١ ، المكتب الثقافي القومي ، القيادة القومية ، بغداد .

اما الخط السياسي الذي وافق عليه المؤتمر فهو يمتد على صعيدين ، الصعيد القطري والصعيد القومي . وننقل فيما يلي أبرز العناصر في قرارات هذا المؤتمر :

أولا ـ على الصعيد القطري السوري

١) على المستوى السياسي ـ الدستوري . هناك من ناحية الخط العام الدعوة الى الكفاح الشعبي على انه الوسيلة الوحيدة التي تسمح للشعب بان يمسك مصيره بيده ، بالاضافة الى تبيين مقتضيات المرحلة العملية ومقتضيات المستقبل والتي تتطلب كلها الدفاع عن الحرية الدستورية التي بدأت تقع تحت تهديد الكتلة البرجوازية ـ الاقطاعية المتسلطة على الجهازين التنفيذي والتشريعي معا . ويحتم هذا الخط العام ما يلي :

ـ دعم النظام الجمهوري وتقويته .
ـ فضح سياسة القبول بفصل سورية عن لبنان من قبل حكومتي البلدين ، اللتين يجب مطالبتهما بالسير نحو الاستقلال الحقيقي ونحو اعادة توحيد البلدين كخطوة اولى نحو الوحدة العربية الكبرى .
ـ فضح التهاون الذي تعالج الحكومة بواسطته المشاكل التي تهدد وحدة البلاد ، مثل الصراع بين مختلف الاقليات ومختلف الجماعات الدينية العشائرية .
ـ المعركة الديمقراطية التي لا بد من خوضها في سبيل تعديل قانون الانتخابات الذي يجب صيانته وفقا للمبادىء التالية :

أ ـ منح حق التصويت لكل المواطنين على اساس مفهوم المواطنة فقط وهذا يعني استثناء اي مفهوم عرقي او ديني .
ب ـ توحيد الاعتبارات الانتخابية .
ج ـ الاشراف على سير الاقتراع من قبل مختلف الاحزاب ومن قبل محكمين شرفاء وحياديين .

كما اتخذ المؤتمر مواقف من التحالفات السياسية ، التي يمكن للحزب ان يتخذها في سعيه لتحقيق مبادئه ، على ان لا يسمح هذا للحزب بان يتفق مع قوى تعادي الأفكار القومية والاشتراكية والثورية التي تعتبر ثروة له وطريقة لنضاله .

٢) وعلى المستوى الاقتصادي هناك الاعتبار الاساسي للطبيعة الطبقية للقوى الحاكمة ، وللمعارك التي لا بد من خوضها في سبيل قلب الاتجاه المعادي للشغيلة

والفلاحين ، الذي تتبناه تلك القوى والذي تم كشفه من خلال التأخير في تنفيذ قانون العمل الذي تم اقراره بعد التصويت عليه . اما الخطوط التي يجب تطوير نضال الجماهير حولها فهي :

- المطالبة باصلاح زراعي يحدد الملكية الزراعية ، وتحديث الانتاج عن طريق تنفيذ مشاريع الري وعن طريق التصنيع .
- تحديد الملكية الصناعية بتأميم الشركات الاجنبية والخدمات العامة .
- تحديد الملكيات العقارية .
- تأميم التجارتين الداخلية والخارجية .
- مشاركة العمال في ادارة الشركات وفي اقتسام الارباح .
- منح الملكية والارث سمة اجتماعية .
- المطالبة بسياسة تخطيط مركزي ، بصورة علمية تحدد مراحل عمليات التصنيع ومضامينها ، كما تنفذ اجراءات تهدف الى حماية الانتاج الوطني من موجات الواردات الاجنبية ، وتشرف على دخل الدولة وعلى إدارتها مع تجنب الفضائح .
- محاربة غلاء المعيشة .

٣ - اما على المستوى الاجتماعي فهناك اعتبار التأخر الواضح في النواحي الاجتماعية - الثقافية في البلاد ، مع فضح تراخي الحكومة في مجابهة الاسباب المؤدية لهذا ، والتي تكمن في بقاء البنى القديمة مثل بنى الاقطاع والقبلية وما يتصل بهما من تعصب ديني او عرقي ، وما يتمخض عنهما من وجود حركات وجمعيات رجعية ، تطيل عمر تلك البنى وتغض الحكومة عنها النظر لتستغلها لمصالحها الخاصة . اما الطريق التي تؤدي الى تجاوز هذا الوضع فقد اشير اليها كما يلي :

- بواسطة تطوير التعليم والبنى المتعلقة به ، لان الاتجاه القومي السليم هو وحده القادر من التغلب على البؤس والانانيات .

- بواسطة تطوير نوعي وكيفي للمؤسسات الصحية الاساسية حتى في القرى النائية ، ذلك مع مراعاة تنمية الطب الوقائي الحديث . وانطلاقا من وجهة النظر هذه ، قرر أن استئصال الاوضاع الاجتماعية القائمة ، هو وحده القادر على ان يتغلب على المشاكل الصحية الكبيرة التي تشكل جانبا خطيرا من جوانب التأخر .

- بواسطة اهتمام مركز باوضاع البادية وتشجيع تقدمها واستفادتها من ثرواتها .

ثانيا ـ على الصعيد القومي العربي

نرى ان القرارات التي صوت عليها المؤتمرون كانت مختلفة الانواع :

١ ـ فعلى مستوى نوع تنظيم الحزب ، نرى ان الدستور ينص في مادته الاولى على ان « حزب البعث العربي ، حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الأقطار العربية ويعالج السياسة القطرية من وجهة نظر المصلحة العربية العليا » . وهذا يحتم على اعضاء الحزب التزاما معينا ليوسعوا المنظمة في هذا الاتجاه ، وبشكل تكون متلائمة فيه مع اهداف توحيد وتحرير الانسان والارض العربية .

٢ ـ وعلى صعيد نوعية التحالفات التي لا بد من اقامتها في سبيل توسيع النضال ، فان مقررات المؤتمر قد اذيعت في الخارج على شكل نداء وجه الى جميع القوى السياسية العربية التقدمية ، من اجل تشكيل جبهة عربية للنضال الشعبي تكون قادرة بقوة وحدتها على شن معركة تهزم قوى الاستغلال في الداخل وقوى الاستعمار في الخارج .

٣ ـ اما على الصعيد السياسي ، فإن المؤتمر قد اكد وجود مصلحة عربية عليا ، موحدة ومستقلة ، يجب ان تشكل محورا يوجه سياسة مختلف الحكومات العربية ازاء الكتلتين المتنافستين في العالم . وانطلاقا من هذه النقطة ، فقد حدد المؤتمر سياسة خارجية نستطيع تلخيصها فيما يلي :

ـ مطالبة جميع الدول العربية بتحديد صداقتها وعلاقاتها مع بقية دول العالم ، انطلاقا من مواقف هذه الدول من الوطن العربي ، وانطلاقا من الاحترام الذي تظهره تلك الدول لاهداف العرب ، ولمطامحهم المتعلقة بالتحرير والوحدة وبناء المجتمع الجديد .

ـ ويتبع هذا مطالبة الدول العربية بقطع كل علاقة مع الدول التي تحتل او تستغل الاراضي العربية ، مثل بريطانيا العظمى وفرنسا واسبانيا وتركيا وايران والولايات المتحدة الاميركية التي دخلت مؤخرا على مسرح الاستغلال عن طريق دعم تركيا والصهيونية ، فضلا عن تغلغلها بصورة مباشرة .

ـ النداء الموجه الى مجموع الشعب العربي للنضال ضد القوى والدول التي تتحالف مع القوى المذكورة اعلاه او تتعاون معها خلال ممارستها للحكم المحلي .

ـ المطالبة بتوحيد القوى العسكرية العربية ، والهيئات الدبلوماسية في الخارج ، فضلا عن الغاء جوازات السفر بين الاقطار العربية .

ـ المطالبة بتشريع دستوري عادل ، يسمح للشعب العربي بممارسة حقوقه بالفعل في جميع الاقطار العربية .

كما اكد الحزب رفضه لجامعة الدول العربية من حيث انها منظمة « رسمية » تمثل الحكومات وليس آمال الشعب العربي ومطامحه .

٤ ـ اما قرارات المؤتمر المهمة على الصعيد الاقتصادي فهي :

ـ المطالبة بالغاء الجمارك بين كل الاقطار العربية .

ـ فضح تهاون الحكومات في الدفاع عن حقوق الامة العربية ومختلف اقطارها . وقد بدا هذا جليا بعد اطلاق يد الدول وشركات الاستغلال الاجنبية . لذلك تمت الدعوة الى اجراء تبديل فوري في هذه السياسة الاقتصادية ، واعادة النظر في الاتفاقيات وفي الامتيازات الممنوحة لتلك الدول ولتلك الشركات ، والاهتمام كليّا بمصالح الشعب العربي ، والانسان العربي الذي يجب ان يتحكم بثرواته القومية هذه .

ـ اعتبار ثروات الوطن العربي الاقتصادية ملكاً للامة العربية . وتناول القرار على وجه التحديد الثروات الطبيعية ، ووسائل الانتاج ، والمؤسسات ذات النفع العام ، واعتبرت كلها ملكا للامة العربية . وتعتبر مختلف الدول العربية مسؤولة بصورة مباشرة عن ادارة تلك الممتلكات .

ان هذا التعداد ، الهيكلي بالضرورة ، الذي سقناه لنوضح نقاط البرنامج وما يتعلق بها من مبادىء نظرية ايديولوجية نوقشت وصودق عليها خلال المؤتمر ، يعطينا فكرة كاملة عن كثرة المواضيع التي تصدى البعث وكل اعضائه لمعالجتها ، ولم يُفزع هذا المنظور الـ (٢٠٠) عضو تقريبا(١) الذين صادقوا على كل قرارات المؤتمر ، والذين اعلنوا في ٧ نيسان/١٩٤٧ عن تأسيس حزب البعث العربي ، وانتخبوا

---

(١) الجدير بالملاحظة أنه ، الى جانب ممثلي القطر السوري ، شارك في المؤتمر بنفس الحقوق ، حزبيون من الاردن ولبنان والعراق ، كانوا يدرسون في المدارس السورية .

قيادته العليا : فاختير الاستاذ ميشيل عفلق امينا عاما بالاجماع، وانتخب كل من صلاح الدين البيطار وجلال السيد ووهيب الغانم اعضاء في القيادة القومية (التي تسمى الهيئة التنفيذية)(١).

وقد بدأ الحزب توسعه بصورة منظمة خارج سورية غداة المؤتمر بالذات . وفي بدء عام **١٩٤٨** اوحى تأسيس فرع الاردن بان الحزب قد سلك اخيرا طريقه السليم .

الدكتور قاسم سلّام
١٩٨٠/٥/٢٦

---

(١) لم يكن هناك من فصل بين القيادة القومية والقيادة القطرية في سوريا ، بل كانت القيادتان بمثابة قيادة موحدة ، مركزها سوريا .

الملحق الأول

مقاطع من خطاب الاستاذ ميشيل عفلق الافتتاحي في المؤتمر التأسيسي الأول (دمشق، نيسان، ١٩٤٧)

لقد صمد الحزب للصعوبات التي رافقت نشوءه وفشلت محاولات الطبقة الحاكمة في القضاء عليه وعرقلة نموه.

لم يلاق حزب من الاحزاب العربية ما لاقاه «البعث العربي» من صعوبة النشأة والبداية. فقد مضت عليه ثلاث سنوات وعدد اعضائه دون العشرة، ثم تلتها السنوات الاربع الاخيرة، فكان نموه في نصفها الاول، اي في السنتين الاخيرتين من الحرب، لا يزال بطيئا. ولم ينتعش الحزب بعض الانتعاش ويستمتع ببعض الحرية في العمل الا في العامين الاخيرين، ابتداء من اشتداد الازمة بين البلاد والافرنسيين، عندئذ فرض الحزب نفسه على الحكومة فرضا، لان الشعب اخذ ينظر الى وجود «البعث العربي» كضرورة وطنية. فاتخذ الحزب لنفسه ناديا، وبعد عام من ذلك سمح له باصدار صحيفة. ان نوع الصعوبة التي يلقاها حزبنا تختلف عما هو معروف عن صعوبات العمل السياسي. فهي ليست صعوبة التضييق على الحرية، وتحمل الاضطهاد والسجن والاعتقال ـ وان كنا قد عرفنا شيئا من هذا كله ـ وهي ليست كذلك ما يلقاه المناضلون من آلام الحرمان والاعياء. ولكنها صعوبة الصدق، صدق التفكير وصدق العمل، في مجتمع اختلطت فيه المفاهيم والتبست القيم. وليس ادل على وجود هذا الالتباس وذلك الاختلاط من ان يكون حزبنا يدعو الى وحدة العرب وحريتهم، ويعمل في سبيل رقيهم ونهضتهم، مقاوما في بلاد اعدت لتكون اخصب تربة لنمو الحركات العربية السليمة، لولا ابتلاؤها بطبقة زيفت حقيقتها، وباعدت بينها وبين مهمتها الاساسية.

لقد كانت العزلة اكبر تجربة مر بها «البعث العربي» في سنوات البداية الشاقة واخذالآن يخرج منها ظافرا سليما ، هذه العزلة التي كان عليه ان يتحملها ويريدها ويدافع عنها مهما يطل اجلها وتشتد قسوتها . لم يكن ثمة سبب او مبرر ظاهري لانفصالنا عن الحركات التي لا تختلف عن حركتنا في العنوان والاهداف العامة الكبرى . ولكن صعوبة التمييز بين نوعين من الحركات المتشابهة في العنوان ، المتباينة في الجوهر ، هي التي ضمنت لحزبنا ان يتألف من هذا النوع المتين المتفوق من الرجال ، الذين لم يقدروا على هذا التمييز العسير والتفريق الدقيق الا لانهم اختصوا بقدر كبير من سلامة الطبع ونفاذ النظر وحرارة الايمان بامتهم ، وصدق الغيرة على مصلحتها . هؤلاء الرجال الذين جاؤوا الى «البعث العربي» كانوا مؤهلين لان يدركوا ، ان مشكلة العرب لم تعد في الاختلاف على ارادة الاستقلال والوحدة والنهضة ، بل على سلوك الطريق المؤدي الى بلوغ هذه الاهداف ، اي على نوع عقلية الفئة التي ترسم للامة طريقها ، وتتقدمها في هذه الطريق ، وعلى مدى تجردها وتحررها من كل ما يعوقها عن متابعة السير والاستقامة فيه . وبكلمة مختصرة ، كان رجال «البعث العربي» مؤهلين لان يدركوا ان مشكلة العرب الاساسية هي مشكلة القيادة القومية .

لم يكتف حزبنا بأن هيأ الجو الروحي والفكري والوسط العملي لظهور وتنشئة رجال القيادة الجديدة ، بل بذل جهدا كبيرا لمقاومة ضغط البيئة القديمة ، وبرهن على وعي وصلابة برفضه الاندماج مع الهيئات الاخرى ذات الافكار والاساليب المرتجلة والتركيب المصطنع ، كما برهن على حكمة وبعد نظر بايصاده بابه في وجه الذين لم يقتنع بصدق تبنيهم لفكرته من الانتهازيين والوصوليين .

واليوم يستطيع الحزب ان يجني ثمار صبره وصلابته وحكمته ، لانه توصل ، بعدده القليل ووسائله اليسيرة ، الى ان يحتل المكان المرموق في نظر الشعب العربي . فهذه القوة المعنوية التي يملكها ، والتي هي ليست سوى التعبير عن قوة فكرته وقدرتها على صهر معتنقيها ، ستسمح له بعد الآن ان يوسع نطاق دعوته ، ويخوض ميدان العمل الشعبي الفسيح محققا بذلك صفة من اثمن الصفات التي يتميز بها ويحرص عليها . ان شدة تشاؤمنا من القيادة القديمة التي لا تزال الى الآن مسيطرة على مقدرات العرب في الحكومات والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ليعصف بها عظم تفاؤ لنا بشعبنا العربي وطيب عنصره وخصب حيويته وشدة قابليته للتحرر والانبعاث . نقول ذلك ليس لمجرد اعتقادنا بان التفاؤ ل بالشعب هو الشرط الاساسي الذي لا غنى عنه لكل من يتقدم للعمل القومي الجدي ، بل ايضا ، وعلى الاخص ، لاننا لمسنا ، كما يستطيع كل ذي فكر حر وكل ذي شعور سليم ان يلمس ، ان الشعب ما برح منذ يقظتنا الحديثة يقدم البرهان تلو البرهان على استعداده الكبير وامكانياته الغنية ، التي عجزت القيادة المشغولة بمصالحها وانانيتها عن

الافادة منها لمصلحة القضية القومية ، بل ان كثيرا ما حاولت خنقها والحيلولة دون ظهورها .

لذلك كانت فكرتنا منذ ولادتها فكرة شعبية ، تعتبر الشعب اساسا وأصلا في بناء الامة وفي حمل القضية القومية وتوجيهها وتنظيمها . **ايها الاخوان ! لقد انبثقت حركة البعث العربي عن دوافع ثلاثة وهي : ١ - يقيننا بحاجة الامة الى الانقلاب ٢ - شعورنا بان الوقت قد حان للشروع في تحقيق هذا الانقلاب ٣ - ايماننا بان الجيل الجديد هو الاداة المهيأة لهذا التحقيق .**

١ - ان في الامة العربية حاجة حيوية قاهرة الى تحقيق انقلاب عميق مبدع شامل ، يبعث فيها طاقتها الروحية الاصيلة الكاملة ، التي اهلتها في الماضي لخلق اعظم الحضارات ، والتي تؤهلها اليوم لبناء مستقبل يكمل ماضيها ويتجاوزه ويتفوق عليه ، والحاجة عندما تكون بارزة ملحة هذا الالحاح ، طاغية هذا الطغيان ، انما تعني في الوقت نفسه القدرة ، اي ان في الامة العربية القدرة اللازمة لتحقيق ما تحتاجه وتنزع اليه .

وينبغي ان نقرر هنا بانه ليس بين الهيئات العاملة اتفاق على ضرورة الانقلاب ، ولا الاتفاق على غايته ، ذلك لان الرأي السائد بين هذه الهيئات هو القول بالتطور ، وهذا يعني ان المجتمع سليم الاسس ، ولكنه مقصر عن غيره ، ويحتاج فقط الى اصلاح الادارة التنفيذية ، والاستسلام الى الزمن الذي هو كفيل بتحقيق الاصلاح المنشود .

ان هذا الموقف خاطىء لانه يتجاهل حقيقتين ناصعتين :

أ - ان وضع الامة في ذاته لو كان سليما لكان الاصلاح ممكنا دوما ، ولما ازدادت عمقا ، يوما بعد يوم ، الهوة التي تفصل بين الواقع الفاسد المنحدر وبين امكان الاصلاح .

ب - هذا الموقف الخاطىء يضع الامة العربية في وضع غير طبيعي بالنسبة للعالم ، اذ ان الاكتفاء بالاصلاحات الجزئية البطيئة ، في هذه الغمرة الدافقة التي تسيطر على العالم الخارجي وتحمله على التقدم السريع والانقلابات العميقة ، من شأنها ان تضعنا في اخر القافلة البشرية وان تزيد الفارق بيننا وبين العالم بدلا من ان تنقصه .

والتطور انما هو القناع الذي تتوارى خلفه الهيئات المحافظة ذات المصالح الكبرى التي تعيش على حساب الفساد الحاضر وتستر به تخوفها من الانقلاب الذي يهدد منافعها واستغلالها .

٢ ـ يؤمن «البعث العربي» بان الوقت قد حان للشروع بتحقيق هذا الانقلاب لان التأجيل يضعف من امكانيات الانقلاب ويجعل توحيد الجهود القائمة متعذرا يوما بعد يوم ، لان المصالح الاقليمية ، والتمايز الطبقي ، ومؤامرات الاستغلال والاستثمار والتكتل الرجعي ، آخذة في الرسوخ والتقوي الى حد يزيد في انعزال الشعب عن الحركة القومية ، ويضعف من ايمانه بمثلها العليا ، ويقضي على بذور الانقلاب بالذبول والانكماش .

٣ ـ ان الجيل الذي شعر بهذه الحاجة في امته ، شعورا اسبق واعمق واقوى واكثر جدية من غيره ، هو هذا الجيل العربي الجديد الذي استكمل شروطه وتهيأ تماما لتحقيق الانقلاب المنشود . هذا الجيل الثوري يشق طريقه بالنضال ، ويلتقي بالشعب التقاء عميقا ، ويقف واياه جنبا الى جنب في صف المعارضة للاوضاع القائمة ، والنضال من اجل اهدافه القصوى في الحرية والوحدة والنهضة .

(جريدة «البعث» العدد ١٤٥)

الملحق الثاني

بيان عن مقرّرات مؤتمر البعث العربي

فكرة عربية اشتراكية انقلابية ، وعمل واحد شعبي نضالي[1]

ارادة العرب هي ان يعيشوا احراراً في دولة واحدة وان يجدوا جميع الامم تتمتع بالحرية .

كان المؤتمر الذي عقده حزب البعث العربي في الاسبوع الماضي حدثا بارزا في تاريخ الحركة العربية الناشئة في سوريا ومختلف اقطار العرب . فقد كان يضم جيلا واعيا من الشباب العربي الجديد ، المؤمن بامته العظيمة ، وامكانيات شعبه الحي ، والعامل على تحرير العرب لاداء رسالة خالدة للانسانية .

---

(١) جريدة «البعث» ، العدد ١٥٠ ، ١٣ نيسان ١٩٤٧ .

وقد بدأ المؤتمر بخطاب الافتتاح الذي استعرض حركة البعث منذ نشأتها الاولى في ظروف صعبة قاسية ، الى المرحلة الخطيرة التي هي فيها .

بيان سياسي :ثم تلي مشروع بيان سياسي عن اوضاع البلاد العربية في هذه المرحلة النضالية المؤلمة من تاريخ الامة العربية ، وتباحث المؤتمرون في مشاكل الاقطار العربية التي هي في الواقع مشكلة واحدة ، لان الهدف الاول من وجود العرب السياسي هو صيانة مصلحة عربية واحدة ، تعتبر نقطة البداية في كل خطوة يخطوها العرب في نضالهم السياسي للتحرر من الاستعمار ولانشاء كيان وطني عربي حر ، واحد ، بين شعوب العالم .

وقد بحث المؤتمرون في الخطوات الاولى التي يمكن ان يخطوها العرب في سبيل حل مشكلتهم . وانتهوا الى اقرار بيان سياسي عام ، ينشره الحزب قريبا . وقد تضمنت هذه المقررات بعض النقاط البارزة في هذا البيان السياسي .

دستور القومية العربية :ثم تلي مشروع دستور قومي لحركة البعث العربي ، ناقش المؤتمرون مواده وبنوده في جو علمي واسع وحماسة عميقة في مصلحة الامة العربية ، ثم انتهوا في جلسات المؤتمر الاخيرة من وضع دستور الحزب واقراره .

العرب امة واحدة حرة : وقد اقر المؤتمرون في مبادىء الدستور الاساسية ، ان العرب امة واحدة ، لها حقها الطبيعي في ان تحيا في دولة واحدة ، وان تكون حرة في توجيه مقدراتها .

وحدة اقتصادية سياسية : ولذلك فان حزب البعث العربي الاشتراكي يعتبر ان الوطن العربي وحدة اقتصادية سياسية لا تتجزأ ولا يمكن لأي من الاقطار العربية أن يستكمل شروط حياته منعزلا عن الأخر .

وحدة روحية ثقافية : ويعتبر الامة العربية وحدة روحية ثقافية ، تزول جميع الفوارق القائمة بين ابنائها بيقظة الوجدان العربي .

امة حية : واقر المؤتمرون في المبدأ الثاني ، ان الامة العربية ذات مزايا خاصة تجلت في نهضتها المتعاقبة ، واتسمت بخصب الحيوية والابداع .

فرد عربي حر : ولذا فالحزب يعتبر ازدهار الوطن متوقفا على حرية الفرد ومدى الانسجام بين تطوره وبين المصلحة القومية .

ولذا فان حرية الكلام والاجتماع والاعتقاد والفن مقدسة لا يمكن لاية سلطة ان تنقصها .

في انسانية حرة متضامنة : واقر المؤتمرون ان الاستعمار عمل اجرامي يكافحه العرب ويسعون الى مساعدة الشعوب المناضلة في سبيل حريتها ، وان الانسانية مجموع متضامن في مصلحته ، مشترك في قيمه ، يضمن التعاون بين الامم ، الرفاهية والسلام والسمو فيه .

حزب عربي شامل : ونصت المادة الاولى من المبادىء العامة على ان حزب البعث العربي حزب عربي شامل تؤسس له فروع في سائر الاقطار العربية ، وهو لا يعالج السياسة القطرية الا من وجهة نظر المصلحة العربية العليا .

اشتراكية : ونصت المادة الرابعة على ان الحزب اشتراكي ، يؤمن بان الاشتراكية ضرورة تتيح وحدها للشعب العربي تحقيق امكانياته ونموه المطرد .

شعبية : ونصت المادة الخامسة على ان الحزب شعبي ، يؤمن بان السيادة للشعب ، وانه وحده مصدر كل سلطة ، وان قيمة الدولة ناجمة عن انبثاقها عن ارادة الجماهير ، كما ان قدسيتها متوقفة على مدى حريتهم في اختيارها .

انقلابية : ونصت المادة السادسة على ان الحزب انقلابي ، يؤمن بان حياة العرب التقدمية الجديدة لن تكون الا بانقلاب شامل على الواقع الفاسد ، يشمل جميع مناحي الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ويناضل في سبيل التحرر والوحدة .

المرأة العربية : ونصت المادة الثانية عشرة على ان المرأة العربية تتمتع بحقوق المواطن كلها ، والحزب يناضل في سبيل رفع مستواها .

حرية وتقدمية : واقر المؤتمرون في المادة الثالثة من سياسة الحزب الخارجية ان العرب هم دوما في صف الحرية والتقدمية ضد الاستعمار والرجعية في العالم .

الثروة ملك الامة : واقر المؤتمرون في سياسة الحزب الاقتصادية ان الثروة الاقتصادية في الوطن ملك الامة .

في سبيل عدالة اجتماعية : ان التوزيع للثروات في الوطن العربي غير عادل ولذلك يعاد النظر في امرها وتوزع بين المواطنين توزيعا عادلا .

حقوق طبيعية : ونصت المادة الرابعة ان الملك والارث حقان طبيعيان ومصونان في حدود المصلحة القومية .

الدولة : ونصت المادة الخامسة ان المؤسسات ذات النفع العام وموارد الطبيعة الكبرى ووسائل الانتاج الكبير ملك الامة ، وتديرها الدولة مباشرة .

تحديد الملكيات : ثم اقر المؤتمرون تحديد الملكيات الزراعية والصناعية الصغيرة بشكل يمنع استثمار الافراد ويتناسب مع المستوى الاقتصادي للبلاد .

مصرف عربي واحد : ونصت المادة العاشرة على ان يؤسس مصرف قومي واحد يصدر منه النقد الذي يسنده الانتاج القومي .

اشراف الدولة على التجارة : ونصت المادة الحادية عشرة على ان الدولة تشرف اشرافا مباشرا على التجارتين الداخلية والخارجية لالغاء الاستثمار وحماية الانتاج القومي .

الاسرة والنسل : واقر المؤتمرون في سياسة الحزب الاجتماعية ان الاسرة خلية اساسية في الامة ، وان النسل امانة في عنق الدولة .

البداوة : واقر المؤتمرون ان البداوة حالة اجتماعية ابتدائية تشمل نمو الامة وتقدمها ولذلك فتحضير البدو ضرورة قومية .

العمل والعمال : واقر المؤتمرون ان العمل الزامي ، وان الدولة تضمن لكل فرد عملا لائقا ، وتسن تشريعا عادلا للعمال ، وتكفل التأمين الاجتماعي .

ثقافة عربية : وجاء في السياسة الاجتماعية ان الحزب يعمل في سبيل ايجاد ثقافة عامة للوطن العربي ، قومية ، حرة ، تقدمية ، تعمم في اوساط الشعب .

التربية والتعليم : واقر المؤتمرون في سياسة الحزب التربوية انه من الضرورة طبع كل مظاهر الحياة بطابع قومي عربي يحفز الامة الى ان تتطلع الى مستقبل مجيد ، وان التعليم من وظائف الدولة وانه مجاني .

مدارس مهنية وجامعات : واقر المؤتمرون وجوب انشاء مدارس مهنية مجانية وانشاء جامعات عربية وتوسيعها ، وجعل اللغة العربية رسمية فيها .

هذا وقد تضمن الدستور انشاء عربيا جديدا لجميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية في الوطن العربي . وقد احيل بعد اقراره الى لجنة خاصة لاعداده للنشر ، وسيصدره الحزب قريبا .

الامة العربية ودول العالم

اقر المؤتمرون :

١ ـ وجود مصلحة عربية عليا ،واحدة ، مستقلة ، نهتدي بها في علاقاتنا مع العالم وخاصة في موقفنا من كتلتي العالم المتنازعتين .

٢ ـ تأييد هيئة الامم المتحدة لتحقيق رغبات الشعوب في التحرر والسلام .

٣ ـ صداقة كل الدول والتعاون معها ، عدا الدول المغتصبة او المحتلة لبلد عربي او التي تتخذ موقفا عدائيا من الامة العربية وهي :

أ ـ انكلترا التي تحتل وادي النيل وفلسطين وشرقي الاردن والعراق وليبيا والمحميات .

ب ـ فرنسا التي تحتل الجزائر وتونس ومراكش .

ج ـ اسبانيا التي تحتل قسما من مراكش «الريف» .

د ـ تركيا التي اغتصبت كيليكيا ولواء الاسكندرون .

هـ ـ ايران التي اغتصبت منطقة الاهواز .

و ـ اميركا التي تتدخل في شؤون الشرق الاوسط بما لا يتفق ومصلحة العرب ، وتدعم موقف تركيا المغتصبة لارض عربية ، وتؤيد الاستعمار البريطاني ، وتؤازر الصهيونية ، وتسلب ثروة الوطن العربي .

ولذا قرر المؤتمرون :

٤ ـ دعوة الشعب العربي للتكتل استعدادا للنضال ضد هذه الدول المعتدية .

٥ ـ مطالبة الحكومات العربية والجامعة العربية باعادة النظر في العلاقات الدبلوماسية مع هذه الدول المعتدية ، وبالاحتكام الى منظمة الامم المتحدة .

الامة العربية وجامعة الدول العربية

يسجل المؤتمرون على الجامعة العربية :

١ ـ النقص الخطير في ميثاقها الذي يمنع الدول العربية من عقد معاهدات مع الدول

الاجنبية دون موافقتها .

٢ ـ تقصيرها في المطالبة بتحرير الوطن العربي وعدم مكافحتها الاستعمار .

٣ ـ تقصيرها في العمل للوحدة .

ولذا قرر المؤتمرون :

٤ ـ وجوب قيام الجامعة بالمطالبة بالجلاء عن الوطن العربي كله ، والاحتكام الى منظمة الامم المتحدة .

٥ ـ سعي الجامعة لتحقيق مطالب العرب في اقطارهم شتى ، الممثلين فيها وغير الممثلين ، وتسهيل انضمام شمال افريقيا العربي اليها .

٦ ـ اتخاذ الخطوات العملية السريعة في سبيل الوحدة ، وهي :

أ ـ توحيد القوى العسكرية في الاقطار العربية .

ب ـ توحيد التمثيل الخارجي .

ج ـ الغاء جوازات السفر بين البلاد العربية .

د ـ الغاء الحواجز الجمركية .

الامة العربية والحكومات العربية

اقر المؤتمرون ان :

١ ـ تعذر قيام الحكم الدستوري الصحيح في البلاد العربية ، وبقاء التأخر الاجتماعي ، واستغلال قلة من الناس لجهود الشعب العربي .

٢ ـ تهاون الحكومات القائمة في الدفاع عن حقوق البلاد والتفريط بها لصالح الدول والشركات الاستثمارية الاجنبية .

انما هما نتيجة خروج هذه الحكومات من فئة استغلالية تعتمد في وجودها على ممالأة الاجنبي .

ولذا يرى المؤتمرون :

٣ ـ وجوب اتخاذ الخطوات السريعة ليمارس الشعب جميع حقوقه السياسية ممارسة فعلية ، وليضمن لنفسه حدا كافيا من العدل الاجتماعي .

٤ ـ اعادة النظر في المعاهدات والامتيازات المعقودة مع الدول والشركات الاجنبية .

حزب البعث العربي والاوضاع في سوريا

اقر المؤتمرون :

١ ـ التمسك بالنظام الجمهوري وتقويته لانه النظام الاصلح لممارسة الشعب حقوقه .

٢ ـ استنكار السياسة الانفصالية التي تسير عليها حكومتا سورية ولبنان ، ومطالبتهما ان ينهجا فورا سياسة توحيدية تدعم استقلال البلدين وتكون خطوة عملية للوحدة العربية .

٣ ـ استنكار اسلوب الحكم القائم الذي تهيمن عليه فئة من محترفي السياسة تتحكم بالسلطتين التنفيذية والتشريعية فتزيف الحكم الدستوري وتشوهه .

٤ ـ تقدير نضال الشعب المجيد في دفاعه عن الحريات الدستورية ، وفي احباطه المحاولة الآثمة لانتهاك حرمة الدستور في قضية الملاكات .

٥ ـ ضرورة متابعة الشعب لنضاله ليستلم مقدراته بنفسه ، فيحمي الدستور والحريات من العبث ، وينقيها من شوائب حكم الفئة المستغلة المحترفة .

٦ ـ تعديل قانون الانتخاب على درجة واحدة .

أ ـ أن يكون الانتخاب على درجة واحدة .
ب ـ ان يكون الانتخاب الزاميا .
ج ـ جعل الانتخاب على اساس قومي والغاء الاعتبارات الطائفية .
د ـ ضمان حرية الانتخاب : ان تتولاه حكومة حيادية نزيهة تحترم الدستور ، وان يسمح بالاشراف على صناديق الانتخاب للمرشحين ولممثلين عن الاحزاب والقضاة .

٧ ـ مسؤولية الحكومة في تهاونها بتوطيد الامن ، وعجزها عن معالجة النزعات الاقليمية والعشائرية التي تخل بالامن وتهدد تماسك الوطن .

٨ ـ تسجيل تقصير الحكومة البالغ في اهمالها شؤون الصحة وامتناعها عن منحها ما تستحق من مخصصات .

ويطالب المؤتمرون بزيادة مخصصات الصحة ، وانشاء المؤسسات الوقائية ، وتوسيع المؤسسات الحالية وتعميمها في القرى وبين البدو .

٩ ـ المطالبة بطبع التعليم بطابع قومي بارز ، وتوجيه النشء وجهة قومية صحيحة ، وتجهيز المدارس تجهيزا علميا وفنيا راقيا ، ورفع مستوى الجامعة السورية بزيادة مخصصاتها ، واستقدام الاساتذة الاكفاء للتدريس فيها ، وتجهيزها بالمخابر اللازمة وتوسيع فروعها ومشافيها .

١٠ ـ رفض الاتحاد مع اي حزب من الاحزاب القائمة في سوريا لانها كلها تكتلات وقتية فاقدة روح الحزبية الصحيحة ، التي تتيح لها الاستمرار في عملها ، ولا تتجاوب مع

فكرة حزب البعث العربي القومية الاشتراكية الانقلابية ، ولا مع اساليبه في النضال .

حزب البعث العربي والشعب العربي

اقر المؤتمرون :

١ ـ الاعتماد في الدرجة الاولى على نضال الشعب العربي وضرورة العمل على تركيز قواه الداخلية وتوحيد جهود هيئاته الشعبية المناضلة .

ولذا يرى المؤتمرون ضرورة الامور التالية :

أ ـ انشاء فروع لحزب البعث العربي في البلاد العربية التي لم تؤسس فسها فروع له ، وذلك لتأليف صف نضالي ، واع ، متين ، من اجل تحرير العرب وتوحيدهم .

ب ـ جواز التعاون مع الاحزاب العربية التقدمية ، التي تناضل ضد الاستعمار الخارجي والاستثمار الداخلي ، في سبيل تنظيم جبهة عربية ، نضالية ، شعبية ، قوية .

البعث العربي حزب المستقبل

وختاما فقد ابرز هذا المؤتمر بجلاء ووضوح ان حزب البعث العربي هو حزب المستقبل بل طريق الخلاص الوحيدة لملايين الشعب العربي من براثن الاحتلال الاجنبي والتجزئة الداخلية والظلم الاجتماعي .

حول السياسة الاقتصادية الداخلية

يستنكر المؤتمرون سياسة الحكومة الاقتصادية للامور التالية :

١ ـ لانها لم تتخذ منهجا اقتصاديا حازما لحماية الانتاج القومي من غزو الانتاج الاجنبي ولتأمين التوازن بين الصادر والوارد .

٢ ـ سكوتها عن الشركات الاجنبية التي تستغل حاجات الشعب الضرورية من نور وماء ونقل وغيره .

٣ـ تأليفها المجالس الاقتصادية العليا من كبار الرأسماليين والمحتكرين .

٤ ـ تهاونها في مراقبة موارد الدولة ومؤسساتها مما ادى لحدوث الاختلاسات الفاضحة .

٥ ـ اصطناعها الاساليب السطحية الزائفة في مكافحة الغلاء مما ادى لفشل هذه المكافحة وتفاقم الغلاء .

٦ ـ اهمالها للعمال وتحيزها لارباب العمل واصحاب الشركات ، وعدم تطبيقها قانون العمل بروحه ونصه .

٧ ـ اهمالها للفلاحين وخضوعها لمآرب الاقطاعيين .

٨ ـ اهمالها العمل على تنمية الانتاج الزراعي وتوسيع الري وتقديم الآلات الزراعية الحديثة .

٩ ـ عدم اتباعها سياسة نقدية مستقلة ، وتراخيها حيال مناورات فرنسا في مصلحة القطع وغيرها ، وسكوتها عن بنك سوريا ولبنان الاجنبي .

ويطالب المؤتمرون بأن تقوم سياسة الحكومة الاقتصادية في المرحلة الحالية على الاسس التالية :

١ ـ صد تيار الانتاج الاجنبي ، وحماية الانتاج الوطني بعد مراقبة وتحديد اسعاره .

٢ ـ توسيع مدى التصدير ، وارسال بعثات تجارية الى الخارج لفتح آفاق جديدة في التصدير .

٣ ـ تصفية اعمال الشركات الاجنبية .

٤ ـ اعادة النظر في توزيع الضرائب ، وفرض ضرائب تصاعدية على الدخل والتملك والارث .

٥ ـ تعديل تشريع العمال الحالي تعديلا يلغي طغيان رأس المال على العمل ويحبط من مؤامرة اصحاب العمل في استغلال العمال ومحاولتهم حجب مفعول تشريع العمال عنهم بشتى الوسائل .

٦ ـ وضع تشريع عادل للعمال والفلاحين والعمال الزراعيين ينصفهم من طغيان الاقطاعيين وملاكي الاراضي .

٧ ـ انشاء وزارة خاصة للزراعة تعمل على ايجاد الوسائل المختلفة لتنمية الانتاج الزراعي بتقديم الوسائل الزراعية الحديثة والاسمدة الكيماوية بتسهيلات كبيرة بعد تجربتها والتأكد من ملاءمتها لتربة الوطن وخصائصه الزراعية .

٨ ـ توسيع مصلحة الري لاحياء كل وسائل الري القديمة من اقنية رومانية وغيرها ، وفتح آفاق جديدة من الري باستخدام الوسائل الحديثة حتى تضيق الى اقصى حد ممكن مساحة الاراضي البعلية .

٩ ـ انشاء مدارس مجهزة بأحدث الوسائل للزراعة ، وايفاد البعثات الزراعية الى الخارج .

١٠ ـ العناية بالبادية للاستفادة منها في تربية المواشي بتعميم الامن وحفر الآبار

الارتوازية وانشاء المناهل .

١١ ـ مكافحة الغلاء باتخاذ التدابير التالية :

أ ـ حشد كل امكانيات الحكومة وخبرائها لتوفير الغذاء والكساء بأقل سعر ممكن لابناء الطبقة الشعبية من العمال والفلاحين .

ب ـ الاشراف على التجارة الداخلية والشركات وكل مؤسسات الانتاج الوطني ، وتحديد الاسعار والارباح ، والتدخل لمنع الاحتكار والغاء استثمار التاجر للمنتج والمستهلك ، وتوطيد التوازن بين مصلحتي الآخيرين .

د ـ تحديد اجور العمال تحديدا عادلا يضمن لهم حدا لائقا من العيش ويتناسب مع ارباح المؤسسات التي يعملون فيها .

هـ ـ تحديد أجور الاراضي تحديدا ينصف العمل ويتناسب مع خصوبتها .

و ـ تحديد اجور العمال الزراعيين ، وتحسين الشروط التي يفرضها ملاكو الاراضي على الفلاحين حتى تضمن لهم حدا لائقا من العيش ، متناسبا مع انتاج الاراضي التي يعملون فيها .

ز ـ تخفيف الضرائب المفروضة على كل ما يتعلق بغذاء الشعب وكسائه وحاجاته الضرورية .

